مقـــدمة

يأتي إصـدار هـذا العـدد من ملف «الجوبة» ليشكّل إضافة نوعية مميزة لهذا العطاء المستـمـر والموصـول لمؤسـسـة عبدالرحمن السديري الخيرية ، وربما كان في هذا العدد الذي جاء ليغطي بالمقام الأول ندوة أسبوع الجوف الخامس التي أقيمت تحت عنوان «الحضارات القديمة في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية منذ العصور الحجرية وحتى ٥٧٠م» وشارك في أبحاثها ومداولاتها نخبة من الباحثين والمتخصصين ، ربما كان فيه المزيد من الإضاءات على هذه المنطقة الضاربة في أعماق التاريخ والتي زخرت بالحضارات القديمة التي ما تزال الشواهد عليها ماثلة إلى يومنا هذا .

لقد تناول المنتدون في أبحاثهم الموضوعَ – مدار البحث – من مختلف جوانبه التاريخيه والأثرية فتحدثوا عن العلاقة بين الحضارات القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية وبين بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر بالإضافة إلى علاقات الخليج العربي بشمال الجزيرة العربية في العصور القديمة ، وقد تناول الدكتور/يوسف عبدالله في ورقته موضوع النقوش التي عثر عليها في الجزيرة العربية وأسهب في الحديث عن تاريخها وأنواعها ودلالاتها .. بالاضافة إلى الصرخة التي أطلقها الأستاذ الدكتور الانصاري – مدير الندوة – والتي دعا فيها إلى اعادة التقويم والبناء من خلال وضع إطار تاريخي يُمارس من خلاله المختصّون كتابة التاريخ بما يساعد على فهم الأحداث ، والربط بين أقاليم الجزيرة دون تغليب اقليم على اقليم آخر .. ، وبشكل عام فقد كان لأبحاث الندوة ومداولاتها فائدة كبيرة عكست بوضوح أهمية التعريف بتاريخ المنطقة ، ونحن إذ نضع هذه الأبحاث بين يدي القارئ والباحث لنرجو من ذلك تعميم الفائدة ونشر هذا النوع من الثقافة بين مختلف الأوساط .

وبالإضافة إلى موضوع الندوة ننشر في هذا العدد مقالة عن التعليم يعرض فيها الكاتب بعضاً من مقترحاته لتطوير العملية التربوية والأداء التعليمي ، أيضاً تنشر «الجوبة» أسماء الفائزين والفائزات في المسابقات التي أُقيمت ضمن فعاليات أسبوع الجوف الخامس وهي : جوائز الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للتفوق العلمي ، وللمزارعين ، ولصناعة السجاد .

نأمل أن يحظى هذا العدد من «الجوبة» باعجابكم وأن يحقق الفائدة المرجوة ان شاء الله .

« أسرة التحرير »

كلمة معالي الأمير / سلطان بن عبدالرحمن السديري

أمير منطقة الجوف

بمناسبة جائزة معالي الأمير عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أيها الأخوة الحضور :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

ويتجدد لقاء الخير السنوي الذي نحتفل فيه بتكريم نخبة من أبنائنا الطلاب المتفوقين على مستوى المنطقة ، ويطيب لي بهذه المناسبة الطيبة أن أرحّب بكم باسم أهالي منطقة الجوف وباسمي شخصياً وأشكر لكم مشاركتكم لنا الاحتفال بأسبوع الجوف الخامس وما تضمنه من تقدير للعلم وطلابه . ذلك أن الانسان هو أعظم ثروة وأثمن كنز ، ومن هذا المنطلق حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين على رعايته وتعهده بالتربية والتعليم والثقافة كي يكون نموه سريعاً وعطاؤه خيِّراً وتأثيره سليماً ، فعملت على نشر العلم في كل مدينة وقرية من مدننا وقرانا وعمّ كلّ مضرب من مضارب باديتنا .

وليس هذا فحسب بل تنوع حتى لم يتبق لون من ألوانه إلا وعملت الدولة بإخلاص وبذلت بسخاء بغية تحقيقه وفق خطط مدروسة ومنّظمة ، وانفردت بلادنا الغالية وتميزت عن بقية دول العالم قاطبة في هذا المجال بمجانية التعليم بل ونقول أن عطاءات الدولة قد تجاوزت ذلك بأن قامت بدعم مجانية التعليم فهي تمنح المكافآت لطلبة الجامعات والمعاهد ومراكز التدريب . وأتيحت أمام الكثير منهم سبل الإبتعاث للخارج وتم تأهيل الكثيرين منهم وبمختلف التخصصات العلمية وتحمّلت الدولة في سبيل ذلك تكاليف باهظة تقدّر بآلاف الملايين من الريالات ، كل ذلك من أجل بناء المواطن السعودي .

وإدراكاً من صاحب هذه الجائزة – معالي سيدي الوالد شافاه الله وعافاه – بقيمة العلم والمعرفة فقد أسَّس على نفقته الخاصة مكتبة عامة

وذلك عام ١٣٨٣هـ وأتاح من خلال ما حوته من كتب قيّمة الفرصة أمام طلبة العلم وغيرهم لولوج سبل المعرفة والثقافة وأخذ يطوّرها إلى أن أصبحت الآن رمزاً حضارياً وعلمياً بما تحتويه وتمثّله – وهي دار الجوف للعلوم – والتي يحق لنا جميعاً ان نعتز بها ونفتخر ويستفيد منها من يرغب وكما أراد صاحبها . لمعاليه منا عظيم الثناء وجلّ التقدير ودعواتنا الصادقة بأن يُسبغ العلي القدير على معاليه أثواب الصحة والعافية وأن يجعل ما قدّمه لوطنه ولهذه المنطقة وأبنائها في موازين أعماله الصالحة . وإيماناً من امارة منطقة الجوف بسموّ هذا المنهج وقيمة هذه المنجزات فقد دأبت على السير في هذا النهج القويم وبذلت جهوداً مخلصة في سبيل العلم والحث على طلبه ، فها نحن نحتفل اليوم بتكريم أبنائنا وبناتِنا الطلاب والطالبات الذين حصلوا على الامتياز في التحيصل العلمي ، وأملنا بأن يكونوا قدوةً صالحةً أخلاقياً وسلوكياً كما هم قدوة صالحة علمياً .

أيها الحفل الكريم ..

في ختام كلمتي هذه أتقدَّم بالتهنئة الخالصة لأبنائنا وبناتِنا المتفوقين متمنين لهم مزيداً من الرقي والتقدم ، وتقديري وامتناني لضيوف المنطقة الكرام الذين شاركونا الاحتفال بفعاليات أسبوع الجوف الخامس ولكل من حضر هذه المناسبة وشكري للأخوين سعادة الدكتور زياد بن عبدالرحمن السديري عضو مجلس الشورى ومدير عام مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية وسعادة الدكتور سلمان بن عبدالرحمن السديري وكيل امارة منطقة الجوف ورئيس المجلس الثقافي بمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية على جهودهما المخلصة في إنجاح هذا الأسبوع .

كما أُحيي الجهود الطيبة لكل من ساهم في تنظيم فعاليات أسبوع الجوف . ويطيب لي أن أرفع باسمكم جميعاً لمقام خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين أسمى آيات الشكر والتقدير والإخلاص للرعايةِ والإهتمام الذي تلقاه منطقة الجوف في كافة المجالات عامةً ومجال التعليم خاصةً حفظهما الله وأدام عزّ بلادنا وأمنها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

نـــــدوة

" الحضارات القديمة في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية منذ العصور الحجرية وحتى ٥٧٠م "

المشاركون بالندوة :

أ.د. زيدان كفافي

أ.د. معاوية إبراهيم

أ.د. لطفي عبدالوهاب يحيى

أ.د. يوسف محمود عبدالله

أ.د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري مشاركاً ومديراً للندوة

تمهيد للندوة - الدكتور عبدالرحمن الأنصاري / مدير الندوة :

نبدأ في الحديث عن مساحة كبيرة من تاريخنا الذي نفخر به ، ونرجو أن نستطيع الكشف عنه وأن نقرِّب بين وجهات نظر ذوي الإختصاص في هذا الموضوع ، وهو موضوع أُثير في السنة الماضية . وكما قال لي الدكتور زياد هذا المساء ، أن الموضوع أصبحت له أبعاد ، واتجه اتجاهات مختلفة ، وهناك من أدلى بدلوه في هذا المجال . وقد عانيت مما قلته هنا في العام الماضي كثيرا ، وقد اتهمت بالتوراتية واتهمت بالصليبية واتهمت بأشياء كثيرة جدا أرجو الله وأدعوا الله أن أكون منها براء لأنني أؤكد أن ما أقوله نابع من (ديني) وإيماني وشعوري بأن واجبي أن أنبه إلى كثير من المضامين التاريخية التي أصبحت مسلَّمة .

ولذا فإن المجلس الثقافي عندما استجاب مشكورا لدعوة هذه الكوكبة من العلماء الأفاضل ليقولوا رأيهم فيما قلته في العام الماضي انما هو دعم للعلم ودعم للبحث العلمي الأصيل ، ورغبة في كشف الحقيقة فيما يمكن أن أُتَّهم بأنني أدعيه .

هؤلاء الأعلام الأفاضل في تخصصهم جاؤا هذه الليلة ليُدلوا بدلوهم فيما تحدثنا عنه في السنة الماضية وسوف يلقي كل منهم بحثه فيما لا يتجاوز خمس عشرة دقيقة .

العلاقات بين الحضارات في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية وبين بلاد الرافدين وبلاد الشام في العصور القديمة

أ. د. زيدان كفافي
مدير معهد الآثار والأنثروبولوجيا
جامعة اليرموك - الأردن

تقع الجزيرة العربية في أقصى الجنوب الغربي لقارة آسيا ، وليس في خريطة الأرض شبه جزيرة أكبر منها مساحة ، إذ يبلغ متوسط عرضها ٧٠٠ ميل ومنتهى طولها ١٢٠٠ ميل . وهي هضبة صحراوية واسعة في معظمها ويحدها من الغرب البحر الأحمر ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق خليج عمان والخليج العربي وأما الحدود الشمالية والشمالية الشرقية فإن العلماء مختلفون في تعيين حدودها جغرافياً ، فمنهم من يجعل حدها الشمالي خطاً وهمياً يتجه من رأس خليج العقبة حتى مصب شط العرب (البكر ١٩٨٠ : ٥٩) .

وتتكون شبه الجزيرة العربية من مناطق معظمها صحراوية نذكر منها صحراء النفوذ وصحراء الدهناء ، إضافة إلى مناطق الحرات (وهي مناطق مغطاة بحجارة سوداء بركانية) وسلاسل من الجبال (مثل سلسلة جبال السروات وسلسلة جبال طويق) ومجموعة كبيرة من الأودية وهي في أغلبها طويلة وغير عميقة وأطولها وادي الرمه (الذي يبدأ من المدينة المنوره ماراً بالقصيم ويصل أحد فروعه إلى البصره (يبلغ طوله ٩٥٠ كم) وكذلك وادي حنيفة .

المكان :

شاعت الأقدار لمنطقة شمال غرب الجزيرة العربية أن تكون حلقة الوصل بين الحضارات التي نشأت في بلاد الشام وبلاد الرافدين وباقي أنحاء الجزيرة العربية . ويعتبر شمال غرب الجزيرة الممر الأساسي للطرق التجارية الواصلة بين هذه المناطق مجتمعة . وبناء عليه فقد

نشأت فيها وعبر العصور مراكز حضارية وممالك مختلفة عرفت معلومات عن بعضها ولا نزال نجهل الشيئ الكثير عن البعض الآخر ، وذلك مرده لقلة الدراسات الميدانية التي حصلت فيها . هذا مع العلم أن هذه المنطقة خضعت لكثير من المسوحات الأثرية والزيارات الاستطلاعية التي تمت على أيدي علماء عرب وأجانب . ومن أهم ما وصل إلى يدي من كتب تعرِّف بهذه المنطقة هو كتاب الأمير عبدالرحمن بن أحمد بن محمد السديري وعنوانه «الجوف - وادي النفاخ» .

وإذا كنا في العصور الحديثة نتحدث عن عدد من الكيانات السياسية التي نشأت خلال القرون الماضية بحدود سياسية تختلف عن العصور القديمة ، الاّ أن جغرافية المنطقة الطبيعية تظهر لنا الوحدة الحضارية والتاريخ المشترك لمنطقة الدراسة . اذ نجد على سبيل المثال أن وادي السرحان الذي يمتد من منخفض الأزرق في الأردن ينتهي في منطقة الجوف - حيث نحن الان - .

الزمان :

على الرغم من أن مواقع العصور الحجرية القديمة الأولى (Lower Palacolithic) التي تم الكشف عنها في شبه الجزيرة العربية قليلة فانه لمن الثابت لدى علماء الآثار بأن شبه الجزيرة العربية قد استوطنها الانسان منذ بداية العصور الحجرية القديمة . إذ عثر في المنطقة الجنوبية الغربية على موقعين : الأول هو فرع صغير من وادي نجران ، والثاني عثر عليه في وادي تثليث بالقرب من خندق خيبر (زارينس وآخرون ١٩٨١: ١٤) وكلاهما يعود إلى العصور الحجرية القديمة . كذلك عثر على موقع من نفس الفترة على بعد ٥ كم إلى الجنوب الغربي من قرية الشويحطيه قرب مدينة سكاكا ويعتقد بأن عمره يزيد على مليون عام من الآن (نورمان وآخرون ١٩٨٦: ١١٥-١٢٠) . وعلى مواقع آشوليه أخرى في المملكة العربية السعودية أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر موقع «صفاقة» الذي يقع جنوب شرقي مدينة الدوادمي (نورمان وآخرون ١٩٨٣:٩-٢١).

كذلك عثر على مواقع موستيريه (حوالي ٧٥ر٠٠٠ - ٣٥ر٠٠٠ سنة من الآن) في المنطقة الشمالية خاصة في

منطقة تبوك (مراد ١٩٩١:١٤-١٤١). أما البقايا الأثرية العائدة للفترة المسماة المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم (Upper Palacolithic) فجاءت قليلة جداً بل شبه معدومة ، علماً أنه قد تم اكتشاف موقعين في شمال المملكة العربية السعودية وفي وادي السرحان (زارينس وآخرون ١٩٨١:١٩) .

ومن المعلوم أن علماء الآثار قد عثروا في مواقع حوض الأزرق ووادي الزرقاء وحوض الجفر وباير في جنوبي بلاد الشام على أدوات حجرية مشابهة لتلك التي تعود للعصور الحجرية القديمة من المملكة العربية السعودية .

ويعتقد محمد عبدالنعيم أن الأدوات الصوانية التي عثر عليها في موقع «كلوه» عام ١٩٣٤م تعود إلى العصر الحجري الوسيط (Nesolithic) (Abdul Nayeem 1990:53). علماً أن العالمة الانجليزية دوروتيا جارود قد أرجعتها إلى المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم (Garrod 1960:119) . ونحن بدورنا نعتقد أنها ربما تعود إلى العصر الحجري القديم أكثر من الوسيط معتمدين على شكلها وطريقة صنعها .

حيث أن أدوات مرحلة العصر الحجري الوسيط تميزت بدقتها وصغر حجمها .

في حوالي ٨٣٠٠ ق.م. توصل الانسان في بلاد الشام إلى معرفة الزراعة ومن بعدها إلى تدجين الحيوانات وبدأ ما يعرف باسم مرحلة القرى الزراعية (Neolithic) . لكن هذه التسمية (Neolithic) لا ترتبط في الجزيرة العربية بتغير في نمط الحياة الاقتصادية وإنما بتغير في صناعة الأدوات الصوانية وربما الأواني الفخارية . واذا كانت مرحلة القرى الزراعية تنتهي في بلاد الشام وبلاد الرافدين مع ظهور المدن وبداية الكتابة في النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد، إلاّ أننا نجد أنها تستمر في الجزيرة إلى حوالي ١٢٠٠ ق.م.، أي حتى ظهور الممالك في جنوبي الجزيرة العربية .

لقد جاءت مواقع العصر الحجري الحديث في شبه الجزيرة العربية منتشرة على جوانب وضفاف الأودية ، وعثر على عدد منها في المناطق الشرقية والوسطى والشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية . وبسبب الصلات الوثيقة بين بلاد الرافدين والجزيرة العربية وخاصة الأجزاء الشرقية منها ، فإن ظهور الفخار

في الجزيرة العربية ارتبط بتطور حضارة هامة في منطقة بلاد الرافدين وهي حضارة العبيد (حوالي ٥٠٠٠ – ٣٥٠٠ ق.م.) . وفي الوقت الذي ارتبطت فيه منطقة شرق الجزيرة العربية في دائرة بلاد ما بين النهرين الحضارية ، كان على شمالها والشمال الغربي منها أن يعمل على خلق روابط مع حضارة بلاد الشام . وكذلك كان الحال بالنسبة للساحل الغربي والذي أقام اتصالات مبكرة مع حضارة وادي النيل .

ومن مواقع العصر الحجري الحديث في المملكة العربية السعودية موقع عين قناص الذي يقع في المنطقة الشرقية ويعود إلى الألفين السادس والخامس قبل الميلاد ، إذ عثر فيه على كسر فخارية مشابهة لفخار المرحلة الثانية من حضارة العبيد في بلاد الرافدين (آدمز وآخرون ١٩٧٧:٢٩) .

أما في المنطقة الشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية فقد عثر على رؤوس سهام وسكاكين في ثمانية مواقع ثلاثة منها في أودية الجزء الساحلي والخمسة الأخرى في حوض تبوك (أنجراهام وآخرون ١٩٨١:٦٠) . وهذه المواقع هي : وادي أظلم وجبل عريق اليسرى ووادي الأخضر وقطاع الرقبان والعيينه وقريّه . ويعتبر موقع العيينة أهم هذه المواقع . وهو يقع في المنطقة الواقعة شمال غرب مدينة تبوك على الطريق المؤدي إلى قريّه . ويتمركز الموقع الأثري فوق تل صغير ارتفاعه ٥م ومساحته ٩٠٠٠م٢. والجانب الشمالي له ينحدر باتجاه منطقة غرينية وربما كانت مستنقعا أو بحيرة صغيرة . ويعتقد المنقِّبون أن بعض الأدوات الصوانية التي عثر عليها في الموقع وهي هلالية الشكل (من النوع الذي استعمل كشفرات للمناجل الأمر الذي يدل على حصول ثورة في نمط الحياة يتمثل في انتقالها من حياة الصيد والرعي والالتقاط الى الانتاج الزراعي) وبعد مقارنتها مع ما يشابهها في الأردن نعتقد أنها تعود للثقافة الناطوفية . كما أن بعض الأدوات الصوانية الأخرى تماثل أدوات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار «ب» في موقع البيضا قرب مدينة البتراء في الأردن (انجراهام وآخرون ١٩٨١:٦١) وتنبع أهمية الموقع أيضا من البقايا المعمارية التي كشف النقاب عنها فيه .

كذلك عثر في المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية وخلال أعمال المسوحات الأثرية التي قامت بها الادارة العامة للآثار بوزارة المعارف على مواقع كلوة والحناكية وجّبة . وعثر فيها على أدوات صوانية يعتقد جامعوها أنها تشبه الأدوات التي عثر عليها في أريحا بفلسطين وتعود إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار «ب» (بار وآخرون ١٩٧٨:٤) .

ان طبيعة مواقع العصر الحجري الحديث في بلاد الشام ووادي الرافدين جاءت تختلف عما نشر عن المواقع المعاصرة في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية . اذ أنها كانت في بعض الأحيان كبيرة المساحة وذات مبانٍ منتظمة لها أرضيات مقصورة ومدهونة باللون الأحمر وتدل البقايا الأثرية المكتشفة فيها على تقدم فكري وعقائدي . ومن الأمثلة على هذا من منطقة جنوبي بلاد الشام مواقع عين غزال والبسطة والبيضا وأريحا .

وإذا كانت المعثورات الأثرية الملموسة والمخلّفات المعمارية قد أمدّتنا بمعلومات عن طبيعة سكان العصر الحجري الحديث، فاننا نعتقد أنها تبقى غير مكتملة إذا لم نتحدث عن بعض النواحي الأخرى مثل الرسوم الصخرية ومصائد الحيوانات اذ تميزت الرسومات الصخرية المكتشفة في بادية الشام ومناطق متعددة من الجزيرة العربية بأشكال آدمية وحيوانية ومناظر من الحياة اليومية (Anati 1974) . ولا يزال يجد الباحثون صعوبات جمة في تأريخها رغم المحاولات المتكررة بهذا الصدد .

أما بخصوص صيد الحيوانات في البادية ، فإننا نجد أن إنسان العصور الحجرية الحديثة قد بنى أشكالا متنوعة من المصائد الحجرية فيها تساعده على صيد هذه الحيوانات . ولقد استطاع باحثون أجانب أن يتعرفوا على سبعة أشكال لهذه المصائد في منطقة البادية الأردنية (Helms and Betts 1987) .

ولقد عثر في المنطقة الشمالية والشمالية الغربية من الجزيرة العربية على عدد من الدوائر الحجرية وقبور ركامية يعتقد بعض الباحثين أنها تعود للألف الرابع قبل الميلاد وأنه قد عثر على ما يشابهها في منطقة جاوة على الحدود الأردنية السورية . لكن ، مما تجدر الإشارة اليه أنه لم يتم العثور حتى الآن

في الجزيرة العربية على حضارات مشابهة لحضارة الغسول في الأردن وبئر السبع في فلسطين والتي تعود للألف الرابع قبل الميلاد .

لقد عثر في موقع الرجاجيل والذي يبعد حوالي ١٠كم إلى الجنوب من مدينة سكاكا على مجموعات كبيرة من الأنصاب الحجرية ، وتتكون كل مجموعة من حجرين إلى عشرة أحجار تقف على شكل نصب مرتفع . ويعتقد أن لهذه الأنصاب والتي ربما تعود لنهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث صفة عقائدية (Parr et al 1978:40) . ولقد عثر على ما يشابهها في بلدة أدر بالقرب من مدينة الكرك في جنوبي الأردن (Albright 1926) .

ومن المعروف أن العرب الذين سكنوا المنطقة الواقعة بين مدينتي حفر الباطن في السعودية والعقبة في الأردن قد جاوروا أرض الرافدين، كما أن سكان العراق القدماء من سومريين وأكاديين قد أتصلوا بسكان أهل البلاد الغربية (الأمورو) قبل وخلال الألف الرابع قبل الميلاد فنشأت بينهم علاقات وطيدة . كذلك فإن المصادر التاريخية الآشورية خير دليل على وجود ممالك ومراكز حضارية في شمال غرب الجزيرة العربية خلال الألف الأول قبل الميلاد ومن تلك الاشارات ما ورد في نقش الملك الآشوري شلمناصر الثالث من أن جندب - أحد شيوخ العرب - قد حالف الملك الآرامي في دمشق وملك اسرائيل «آحاب» ضده في معركة قرقر الواقعة شمالي مدينة حماة السورية عام ٨٥٣ ق.م. (حتي وجرجي وجبور ١٩٨٦:٦٥) . وهناك اشارة أخرى إلى العرب وردت في المدونات الآشورية تعود الى زمن الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م.) تذكر أن هذا الملك قد فرض جزية على «زبيبه» وهي ملكة عربية كانت تحكم «أريبي» (آل كريع ١٩٨٤:٧٤) . كما وأنه وفي عام ٧٢٨ ق.م. أتته الجزية من مدينة شمأي «تيماء» (أبو درك ١٩٨٦:٤) . وقد انتصر تيجلات بلاسر الثالث في حملته التي قام بها عام ٧٣٢ق.م. ضد الملكة شمسي (شمس أو شمسه) وهي ملكة أخرى من ملكات العرب في شمال غرب الجزيرة (السديري ١٩٨٦:١٠) . وهكذا نجد أن الآشوريين قد سيطروا على الطرق التجارية المارة في شمال الخليج العربي ثم إلى الجوف ومنها إلى الأردن وفلسطين حتى مصر .

وفي عام ٦٨٨ ق.م. أخضع الملك الآشوري سنحاريب دومة الجندل «ادومو» وأسر ملكتها . كذلك تتابعت الحملات الآشورية على منطقة بلاد الشام وشمالي وشمال غرب الجزيرة العربية زمن الملوك اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٨ ق.م.) وآشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م.) .

وعلى أية حال فان هناك اشارات كثيرة في السجلات والوثائق الآشورية إلى زعماء عرب يقدمون الهدايا (الذهب والحجارة الكريمة والكحل واللبان والجمال والحمير) إلى الملوك الآشوريين .

وأما في عهد الدولة الكلدانية فقد تتابعت الحملات البابلية على الممالك العربية المجاورة لها كالهجوم الذي شنه الملك الكلداني نبوخذ نصّر على قبيلة قيدار والحملة التي قام بها نابونيد (٥٥٦-٥٣٩ق.م.) وفي السنة الثالثة من حكمه انتصر على دومة الجندل وتيماء ، حيث اتخذ من المدينة الأخيرة مقراً له وابتنى لنفسه فيها قصراً ضخماً وبقي فيها حتى اضطر للرجوع إلى بابل للدفاع عنها أمام هجمات الفرس الذين دخلوها عام ٥٣٩ ق.م. ويبدو أن الفرس كانوا على علاقات مع القبائل العربية المجاورة لهم .

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أنه قد عثر حديثاً وفي موقع السلع بالقرب من مدينة الطفيلة على مسلة منحوتة بالصخر عليها أشكال آدمية وكتابة مسمارية يعتقد مكتشفها أنها ربما تعود لزمن الملك الكلداني نبوخذ نصر أو ربما نابونيد (القطامين : اتصال شخصي) .

ولقد عثر في مدينة تيماء على نقش مكتوب باللهجة الآرامية يعود للقرن الخامس قبل الميلاد ، وموجود الآن في متحف اللوفر بباريس يذكر أن أحد الكهنة قد استقدم إلهاً جديداً إلى تيماء يدعى «صلم هجم» ، ولقد مثل الاله في زي الآشوريين (حتي وجرجي وجبور ١٩٨٦:٧٠) .

وقد استمرت عبادة هذا الإله في تيماء والمناطق المحيطة بها أيام الثموديين إذ يظهر اسم الإله «صلم» في عدد من النقوش الثمودية المبكرة كإله رئيس كما يظهر مع أسماء الأشخاص المركبة التي يمثل هذا الإله أحد جزئيها وبناءً عليه فقد ارتأى وينت أن النقوش الثمودية التي تحوي اسم هذا الإله هي أقدم النقوش الثمودية على الاطلاق (وينت ١٩٣٤) .

كذلك يجب أن لا يفوتنا هنا ذكر

المملكة الديدانية التي نشأت في شمال غرب الجزيرة العربية ، وذلك في المنطقة الواقعة على الطريق البرية الموازية للبحر الأحمر حيث كانت تمر تجارة جنوب الجزيرة العربية والهند إلى بلاد الشام ومصر ، وتدل بعض الكسر الفخارية التي عثر عليها في مواقع من هذه المنطقة على وجود علاقة مع منطقة جنوب الأردن وفلسطين (أي ما عرف باسم مملكة أدوم).

واذا ما أخذنا موقع المنطقة الشمالية للجزيرة العربية وصلاحية بعض الأماكن فيها للزراعة بعين الاعتبار ، لعرفنا أنها كانت مأهولة بالسكان منذ القدم وأن سكانها قد مارسوا التجارة وبنوا مراكز تجارية كانت على اتصال مع المراكز الأخرى في المنطقة . وخير دليل على هذا من ازدهار مواقع مثل الحجر إبّان مملكة الأنباط .

وبعد ظهور الاسلام حظيت منطقة شمالي الجزيرة العربية بقدر كبير من الأهمية خاصة زمن الخلفاء الراشدين والدولة الأموية ، لكن سرعان ما فقدتها بعد استيلاء العباسيين على الحكم في عام ١٣٢ هجري ونقلهم عاصمة ملكهم إلى بغداد . وعليه فقد أخذت الطرق التجارية طريقاً آخر لا يمر بالمنطقة وكذلك أصبحت البضائع التجارية تنقل عبر الخليج العربي من الشرق إلى العراق . وبهذا نختتم حديثنا حول العلاقات بين الحضارات القديمة في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية وجنوبي بلاد الرافدين وبلاد الشام .

المراجـــع

أ. باللغة العربية

أبو درك ، حامد

١٩٨٦ دراسة نقد ومقارنة لبعض المعالم في تيماء بشمال غرب الجزيرة العربية من خلال الاستكشافات الأثرية . اطروحة قدمت للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ليدز بانجلترا / قسم الدراسات السامية . الرياض : الادارة العامة للآثار والمتاحف .

آدامز ، روبرت ، وآخرون

١٩٧٧ الاستكشافات الأثرية للمملكة العربية السعودية ١٣٩٦ هجري - ١٩٧٦م . تقرير مبدئي عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل . الأطفال / العدد الأول : ٢١-٤٧ .

البكر ، منذر عبدالكريم

١٩٨٠ دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام . بغداد : جامعة البصره .

السديري ، عبدالرحمن بن أحمد بن محمد

١٩٨٦ الجوف - وادي النفاخ . مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية .

الجراهام ، مايكل وآخرون

١٩٨١ التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية (مع لمحة موجزه عن مسح المنطقة الشمالية) . الاطلال : العدد الخامس : ٥٣-٧٧ .

آل كريع ، الشيخ عبدالرحمن بن عطا الشايع

١٩٨٤ هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف ، مع أبحاث في التاريخ والجغرافية والآثار ، الجزء الأول الطبعه الأولى . الرياض : المطابع الأهلية للأوفست .

بار ، بيتر وآخرون

١٩٧٨ التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لمسح المنطقة الشمالية ١٣٩٧ هجري/١٩٧٧م. الاطلال / العدد الثاني : ٣١-٥٩ .

حتي ، فيليب ، وجرجي ، ادوارد وجبور ، جبرائيل

١٩٨٦ تاريخ العرب ، طبعة جديدة منقحة ، ط٧ . بيروت : دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع .

زارينس ، بوريس ومواد ، عبدالجواد واليعيش ، خالد

١٩٨١ برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية ،
أ) التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية . الاطلال / العدد الخامس : ٩-٣٧ .

كيليك ، اليستر وآخرون

١٩٨١ برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٠ . ب) التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الغربية . الاطلال / العدد الخامس : ٣٧-٥٣ .

مراد ، عبدالجواد السيد

١٩٩١ المسح الأثري والمواقع الأثرية . المنهل / العدد ٤٨ .

نورمان ، هويلن وآخرون

١٩٨٣ تقرير عن التنقيب في المواقع الأثرية قرب صفاقه بالدوادمي ١٤٠٢ هجري - ١٩٨٢م . الاطلال / العدد السابع : ٩-٢١ .

نورمان ، والين وآخرون

١٩٨٦ تقرير عن موقع يعود للعصر الحجري الحديث الأدنى (البليستوسيني) . قرية الشويحطيه في شمال المملكة العربية السعودية . الاطلال / العدد العاشر : ١١٥-١٢٣ .

ب. باللغات الأجنبية

Abdul Nayeem, M.

1990 **Prehistory and Protohistory of the Arabian Peninsula, Vol. I.** Hyderabad : Hyderabad Publishers .

Albright, W. F.

1926 The Jordan Valley in the Bronze Age. The Annual of the American Schools of Oriental Research 6 (1924 - 25). 13-74 .

Anati, E.

1974 Rock-Art in Central Arabia, Vol. 4. Louvain-La-Neuve: Publications de l'Institut Orientaliste de Louvain .

Garrod, D.

1960 The Flint Implements. **North Arabian Desert Archaeological Survey, 1925 - 1950.** Peabody Museum Papers. Harvard University .

Helms, S. and Betts, A.

1987 The Desert "Kilos" of the Badiyat Esh-Sham and North Arabia. Paleorient 13/1: 41-69 .

Parr, P. et al

1978 Comprehensive Archaeological Survey Program . b. Preliminary Report on the Second Phase of the Northern Province Survey 1397 / 1997. **Atlat 2** : 29-51 .

العلاقة بين الحضارات القديمة
في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية ومصر

د . لطفي عبدالوهاب يحيى
جامعة الاسكندرية

قبل الحديث عن العلاقة بين الحضارات القديمة في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية ومصر ، أودّ أن أشير إلى نقطتين : إحداهما أن هذه العلاقات ، إذا كان يغلب عليها في كل مرحلة من مراحلها التاريخية المختلفة اتجاه يميزها عن المراحل الأخرى ، سواء أكان هذا الاتجاه فنياً أم اقتصادياً أم سياسياً أم غير ذلك ، فإن هذا لا ينفي أن كل الاتجاهات أو أغلبها كانت موجودة ومتداخلة في كل المراحل ، وأن الأمر كان لا يعدو في الحقيقة مجرد الإختلاف في الوقع أو النسبة أو الشكل فيما يخص كلا من هذه الاتجاهات في كل مرحلة من مراحل العلاقة المذكورة . أما النقطة الأخرى التي أود الإشارة اليها في مجال هذه العلاقة ، فهي أنها كانت تتخذ في بعض الأحيان مساراً يقتصر على طرفيها المعنيين فحسب ، بينما كان يظهر طرف ثالث في خلفية هذه العلاقات في أحيان أخرى كثيرة ، وكان دور هذا الطرف الثالث يتأرجح ، من مرحلة إلى أخرى ، بين الدور الهادئ الخافت مرة ، والدور الصاخب المباشر مرة أخرى ، والدور غير المباشر مرة ثالثة ، وإن كان هذا لم يؤثر ، في أي من المراحل على الصفة المباشرة للعلاقة بين المنطقتين موضوع الحديث .

١

وفي حدود هذا الإطار سأتناول العلاقة بين شمال وشمال غرب الجزيرة العربية وبين مصر في ثلاثة جوانب يتسم كل منها بطابع يميزه عن الجانبين الآخرين . والجانب الأول يخص المؤثرات

الفنيـة في عـدد من المجـالات . وفي هذا الصدد فقد امتدت هذه العلاقة الفنية على مرحلتين قد تتداخلان من الناحية الزمنية بعض الشئ . وفي المرحلة الأولى ، وهـي تبدأ مع بدايات الألف الثالثة ق.م. قـامت المنطقة العربية الشمالية والشمالية الغربية بدور الوسـيط الحضـاري الايجـابي بين الحضارات التي تاخمت الجزيرة العربية من الشرق وبين مصر . وأحد الأمـثلة في هذا المجال هو صور لحيوانات ذات أعناق طويلة ، يلتف فيها عنق حيوانين متماثلين حول بعضهما بحيث يتقابل الرأسان في النهـاية . وقـد عـثر على صـورة من هذا النوع محفورة على ختم اسطواني يرجع إلى عصر الوركاء في الحضارة السومرية في وادي الرافدين (حوالي ٣٣٠٠-٣١٠٠ ق.م.) . كمـا نجد صورة مماثلة محـفورة حفراً نافراً على لوحة نعرمـر ، أول ملوك الدولة القديمة في مصر الفرعونية(١) .

والمثال الثاني الذي أقدمه في هذا الصدد هو عمارة الجدران المتراجعة ، أو عمارة المشكاوات ، كمـا يسميـهـا بعض المؤرخين . وهي طراز من العمارة يتراجع فيه الجدار إلى الداخل ، ثم يعود في زاوية قـائمـة إلى الامـتـداد في صـورة مـوازية للاتجـاه الرئيـسي للجـدار ، ثم يبـرز إلى الخارج في زاوية قائمة ليعود الجدار إلى سـيرته الأولى ، بحـيث تكون النتـيـجـة النهائية على هيئة مشكاة تمتد من أعلى الجدار إلى أسفله ، ثم يتكرر ذلك بحيث تظهر في الجدار مجموعة من المشكاوات ، هذا الطراز من العـمـارة كـان سـمـة من سمـات الفن المعماري في وادي الرافدين في فترة الحضارة السومرية . ولدينا عدد من الأمـثلة عليـه من بينهـا آثار المعـبـد السـابع في أريدو (في جنوبي العـراق) ، وهو يعود إلى عصـر ثقافة العبيد الذي يمتد عبر القرون الخمسة أو الستة الأولى من الألف الرابعة ق.م. ونحن نجد مثالا له في مصر في بناء مصطبة (مقبرة) الملكة نييت - حتب في موقع نقاده ، قرب مدينة قفط (على ثنية النيل في الوجه القبلي) . وهذه الملكة هـي زوجـة نعـرمـر ، مـؤسس أولى الأسـرات الفـرعونيـة ، ومن ثم فـإن مقبرتها ترجع إلى الشطر الأول من القرن الأول للألف الثالثة ق.م.(٢) .

ولنا هنا أن نتسـاءل : هل كـانت المنطقة الشمـالية والشـمـالية الغربيـة من الجـزيرة مـجـرد ممر تنتـقل على طوله المؤثرات الحضـارية بين وادي الرافـدين

ومصـر ، دون أن تتـأثر المنطقـة التي يمر بها الطريق بهذه المؤثرات ، ومن ثم تسهم، هي ذاتهـا ، ايجـابيـاً في عـمليـة الانتـقـال الحـضـاري؟ إن مـثل هذا التـصـور الذي تصبح معه المنطقة مجرد ممر لا تخرج قيمته عن موقعه الموصل بين حضارتين لايمكن أن يتم إلا إذا افترضنا حدوث غزو أو هجـرة كـاسـحـة على نطاق واسـع من وادي الرافدين يكون هدفها الأول والأخير هو غزو مصر والإستقرار فيها على نطاق واسع ، وهو أمر يكون من شأنه ألا يتوقف الغازون أو المهاجرون كثيرا على الطريق . ولكن مثل هذا الغزو (أو هذه الهجرة على نطاق واسع) إذا افـتـرضنا حـدوثه ، كـان لابد أن يتـرك أثراً على نطاق واسع في النظم السياسية والعقائد واللغة ، وهنا لا نجـد أي تأثيـر في هذه المجـالات على الإطلاق على الاتجاهات التي كانت قـائمة في مصـر قـبل الفـتـرة التي شـهـدت هذه المؤثرات التي وفـدت من وادي الرافـدين ، كمـا أن الغزو أو الهجـرة الواسعـة بهدف الاستقرار في مصر كان أمراً غير وارد بحكم طبيعة الأشيـاء ، فوادي الرافدين منطقـة خـصـبـة ، وقـد عـرفت الزراعـة والاستقرار في فترة مبكرة سبقت العصر التاريخي بكثير ، ولم تكن منطقة جرداء أو مـقـفـرة يسـعى سكانهـا إلى الهـجـرة والاستقرار في منطقة أكثر خصوبة .

ومن هـنـا تـكـون مـــــؤثرات وادي الرافدين قد تسربت إلى مصر على مهل عن طريق التنقل التـجـاري الذي يسـمح بالتـعــامل على الطريق ومن ثم يسـمح بالتناقل الحضاري من منطقة إلى أخرى على هذه الطريق . ونحن نجـد في الواقع شيئاً من هذه المؤثرات الرافدانية في شرق الجزيرة العربية عند بداية الطريق التجارية الحـضـارية . والأثر الموجـود هو صـورة منقـوشـة على الحـجـر تمثل حيّتين تلتفّ عنقاهما لكي تتقابل رأساهما بعد ذلك ، والملفت للنظر في هذه الصـورة أن رأسي الحيّتين يتخذان شكل رأسي حيوانين من رؤوس الحيوانات الملتفة الأعناق التي تظهر في وادي الرافدين وفي مصر(٣) . ولنا أن نتصور أن مثل هذه الصور قد ظهرت في المناطق التي تمر بهـا الطريق الموصلة إلى شـمــال غـرب الجـزيرة ومن هناك عـرفت طريقها إلى مصر .

والمؤثرات التي تظهــر في طراز المشكاوات في المجـال المعـمـاري ، هـي الأخـرى من المرجح أن تكون قـد وجـدت

أمثلة لها على الطريق التي انتقل فيها هذا الطراز إلى مصر . ولم تسفر الحفائر في المنطقة الشمالية والشمالية الغربية عن شئ من هذا القبيل في الفترة القديمة التي عاصرت انتقاله من وادي الرافدين إلى مصر في بداية الألف الثالثة ق.م. ولكن هذا ليس معناه أن مباني تتبع هذا الطراز لم تقم في المنطقة في أي يوم من الأيام . فنحن نسمع في السجلات الآشورية عن ملوك وملكات كانوا مقيمين في المنطقة الواقعة بين وادي الرافدين وغزة ، على امتداد القسم الشمالي والشمالي الغربي للجزيرة العربية(٤) ، ومن الأمور التي تتفق وطبيعة الأشياء أن يكون هؤلاء قد عاشوا في قصور بغض النظر عن مستواها أو فخامتها . وقد عرفت المنطقة بالفعل مثل هذه القصور في فترات مختلفة من تاريخها امتداداً من تخوم العراق في الشرق حتى قصر الأبلق في الغرب(٥) . وبعض هذه القصور قد اندثر تماماً . ومع ذلك فإن سور قصر الرضم بتيماء ، رغم أنه يعود إلى فترة متأخرة نسبياً ، وهي حوالي ٣٠٠ ق.م. إلا أنه يقدم إيحاءً واضحاً بطراز عمارة المشكاوات وإن لم يكن ذلك بشكل كامل ، وعلى أي الأحوال فإن الجدار لا يمثل خطاً مستمراً ، وإنما يظهر فيه التراجع الذي يقارب طراز عمارة المشكاوات إلى حد كبير(٦) .

ولكن إذا كانت طريق التواصل الحضاري بين وادي الرافدين ومصر معروفة ، فقد كانت إلى جانب ذلك طريقاً مطروقة دائماً ، فمن بين شبكة الطرقات التجارية التي كانت تخترق شبه الجزيرة من الشرق إلى الغرب موصلة إلى الطريق من الجنوب إلى الشمال ، بما يتصل بذلك كله من تفريعات ، كان هناك خط يصل من جنوب العراق (منطقة النجف حالياً) عبر القسم الشمالي للجزيرة حتى يصل إلى منطقة الجوف (ماراً بسكاكا الحالية) حيث يمر بعدد من المواقع التجارية مثل تيماء ومدائن صالح والعلا ومنها يتفرع إلى فلسطين منتهياً عند غزة وإلى سيناء حيث تبدأ الطريق إلى وادي النيل في مصر(٧) . وهذه الطريق هي التي كانت تجوبها القوافل التجارية حاملة معها سلعها ، ومن بينها البخور والطيوب . وقد كان البخور سلعة لا يمكن الاستغناء عنها في العصور القديمة . فالدين كان عصب الحياة القديمة ليس في المجال الروحي فحسب ، بل في المجال السياسي والمجال

الاقتصادي والحياة اليومية . والدين معناه معابد وكهنة وشعائر ، وهذه معناها بخور وطيوب .

وهناك أكثر من شاهد على أن هذه الطريق كانت مطروقة بشكل دائم . فسجلات الملوك الآشوريين تشير إلى هذه الطريق بشكل متكرر وتذكر نفس الأماكن تقريبا في كل مرة ، تيما (تيماء) وأدوماتو (الدومة) وغيرهما ، وفي بعض الأحيان تتكرر نفس الأسماء : سمسى وزبيبى وحزائيل وأبي يتع وغيرهم ، ونجد الطريق ينتهي في أغلب الأحيان عند غزة وعند رابيحو (رفح) على حدود مصر(٨) . وفي عدد كبير من هذه الغارات كان الملوك الآشوريون يذكرون ما حصلوا عليه من غنائم وهدايا ، مثل البخور والسلع الأخرى الآتية من خارج الجزيرة والتي تحملها القوافل عبر هذه المنطقة مثل العاج وجلد الفيل وغيرها(٩) .

شاهد آخر على أن هذه المنطقة كانت تشكل طريقاً تجارية مطروقة هو ما تذكره هذه السجلات من أعداد كبيرة من الإبل التي كان بعض الملوك الآشوريين يذكرون أنهم غنموها أو قتلوها في مكان واحد ، وذلك مثل الإبل التي قتلها تجلات بلسر الثالث للملكة سمسى ملكة العرب والتي بلغ عددها ثلاثين ألفاً(١٠) . إن مثل هذا العدد من الإبل ، حتى بعد أن ندخل في اعتبارنا المبالغة المتوقعة حين يتحدث ملك عن غنائمه ، يظل كبيراً بالنسبة لمنطقة قد لا تزيد كثيرا عن مدينة واحدة أو تجمع سكاني كبير . والتفسير الوحيد هو أن هذه كانت مفصلاً تجارياً هاماً تتجمع فيه كلّ القوافل الآتية من الشرق إلى الجنوب في طريقها إلى الشمال الغربي من شبه الجزيرة قبل أن تستأنف طريقها إلى مصر وبلاد الشام .

ولكن إذا كان أهل وادي الرافدين قد عرفوا هذه الطريق وطرقوها مرة بعد مرة إلى حدود مصر ، وإذا كان التجار قد قطعوها بصفة دائمة جيئة وذهاباً حاملين معهم بخورهم وطيوبهم وبقية سلعهم ومعها المؤثرات الحضارية منتهين بالمنطقة الشمالية الغربية للجزيرة في طريقهم إلى مصر ، فإن دور هذه المنطقة قد تجاوز مجرد الموصل الحضاري ، مهما كانت إيجابيته ، إلى التفاعل المباشر ، عطاءً وأخذاً ، مع مصر وحضارتها . وكانت نقطة الوصل هي سيناء بالضرورة ، مدخل الجزيرة العربية إلى مصر ومدخل مصر

إلى الجزيرة العربية ، والامتداد البشري السّامي على أرض مصر . لقد أهتم المصريون بشبه جزيرة سيناء منذ فترة مبكرة من تاريخهم – في الواقع منذ عصر ما قبل الأسرات – وكان استخراج النحاس ثم استخراج الفيروز هو نشاطهم الأساسي في هذه المنطقة ، وهو تعامل بلغ أوجه في عهد الدولة الوسطى[١١] .

هذا النشاط المصري في سيناء حولّها من مجرد امتداد سكاني يمثل طرف مصر الشمالي الشرقي ، ليجعل منها موقعاً نابضاً بالحياة من الممكن أن يتحول ، إذا توفرت الظروف ، إلى بوابة حقيقية ، تجارية وحضارية تصل بين مصر والمنطقة الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية . وقد جاءت حاجة مصر إلى البخور لتحقق هذا الاتصال وتؤدي إلى التفاعل الحضاري المذكور . لقد قيل في هذا الصدد إن مصر كانت تستخدم في بداية الأمر ، بدلاً من البخور ، نباتاً من الصحراء الشرقية يعطي عبقاً مثل عبق البخور . وقد يكون هذا صحيحاً وقد يكون غير صحيح . ولكنه حتى في حال صحته لا يمكن ، على مر الوقت أن يكون قد أصبح بديلا عن البخور الحقيقي ، وإلا لاستغنت مصر عن بخور بلاد پونت ، على عهد الملكة حتشبسوت (١٥٠٥ – ١٤٨٣ ق.م.) حين جدت ظروف جعلت اعتماد مصر على البخور العربي ، لمرحلة على الأقل ، غير وارد ، معتمدة على نبات الصحراء الشرقية كبديل مماثل للبخور أو كاف لتغطية حاجتها منه .

ونحن نستطيع أن نشير ، وإن كان ذلك في فترة لاحقة ، إلى أكثر من مثال من التفاعل الحضاري بين مصر وشمال غرب الجزيرة العربية . وأقدّم ، في هذا الصدد مثالين : والمثال الأول هو حوض دائري موجود في معبد حتحور بموقع سرابيط الخادم ، (في القسم الشمالي الغربي من سيناء ، والحوض تحيط به أعمدة يعلو كلاً منها رأس لهذه الالهة[١٢] .

وواضح من وجود هذا الحوض في قلب المعبد أنه كان يستخدم في طقس من طقوس العبادة ، ربما كان تبركاً من ماء يوضع فيه أو شيئاً قريباً من ذلك . وفي مقابل ذلك فقد عثر في منطقة العلا بالقسم الشمالي الغربي من الجزيرة العربية على حوض دائري كذلك[١٣] ، ويذكر الأثريان جوسان **Jaussen** وسافينياك **Savignac** اللذان شاهدا المنطقة

في ١٩١٠ أنهما شاهدا ما يشير إلى أن هذا الحوض كان يقوم وسط فناء تحفّ به التماثيل(١٤) . وقد ذكر أكثر من رأي في تفسير وجود هذا الحوض ، فذهب أحد هذه الآراء إلى أنه ربما كان للسقاية أو للتطهر والاغتسال . وذهب رأي آخر إلى أنه ربما كان له علاقة بقصة سيدنا صالح والناقة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وقد يكون لهذا الرأي الأخير علاقة بتسمية هذا الحوض (قطره أربعة أمتار وعمقه أكثر من مترين) «محلب الناقة» وهي التسمية الشائعة عنه ، وعلى أي الأحوال فإنّ ما ذكره الأثريَّان الفرنسيان يشير إلى قداسة المكان .. وهو أمر طبيعي من حيث أنه موقع المعبد اللحياني في المنطقة (أواسط الألف الأولى ق.م.) .

والتشابه بين الحوضين سواء في شكلهما الدائري أو في التماثيل التي كانت تحيط بأحدهما والتي لاتزال تحيط بالآخر، ومسحة القداسة التي يؤدي إليها وجود هذه التماثيل ، تشير جميعاً إلى نوع من التفاعل الفني بين القسم الشمالي الغربي للجزيرة العربية وبين شبه جزيرة سيناء . وإلى جانب ذلك فإن وجود هذا الحوض في المعبد المصري بسيناء لا يتكرر في أي من المعابد المصرية الأخرى في مصر ، رغم كثرتها . وإذن فالتأثير هنا غير مصري . ومن الجانب المقابل فإن وجود «محلب الناقة» في خريبة «العلا» يشير إلى مصدر هذا الاتجاه الفني . ولا يؤثر في ذلك أن يعود الحوض العربي الذي يرجع إلى أواسط الألف الأولى ق.م. إلى فترة زمنية لاحقة لحوض سيناء ، فالقضية هنا قضية اتجاه فني عام يتصل بالطقوس الدينية بغض النظر عن التوقيت الزمني . ونقطة التفاعل هنا تتمثل في وجود سكان في كل من المنطقتين ينتمون إلى العنصر السامي وثقافته ومن ثم يشتركون في تصوراتهم الدينية ، ودليلنا على هذا الانتماء إلى الثقافة السامية عند سكان سيناء أن لغة هؤلاء السكان لم تكن معروفة جيداً لدى البعثات المصرية التي كانت تصل إلى هناك لاستخراج النحاس والفيروز . ومن هنا فقد كان من بين أفراد البعثة مترجم يحمل لقب «مترجم العامو» أي مترجم الآسيويين . وهكذا فإن هذا الحوض يمثل ثقافة سامية آتية من المنطقة العربية الواقعة إلى شرق مصر ، ووجوده داخل المعبد المصري يشكل نقطة تفاعل عربية مصرية في المجال الفني المتصل

بالدين . ويمكن بعد ذلك أن نفسر الفارق الزمني بأن الحوض الموجود في المعبد المصري كان إضافة لاحقة زمنياً لبناء المعبد، أو أن الحوض الموجود في العلا يشكل استمراراً لظاهرة كانت موجودة قبل ذلك في فترة معاصرة لبناء المعبد المصري .

والمثال الثاني الذي أقدمه في هذا الصدد يأتي مرة أخرى من خريبة العلا . وهو يخص تمثالاً وجد في المعبد اللحياني طوله حوالي المتر ، ورغم أنه قد فقد رأسه كما أن امتداد الساقين يتوقف فوق الركبتين ، إلا أن التمثال يشكل تطابقاً كاملاً مع طراز النحت المصري ، فالقامة منتصبة بشكل مشدود ، والذراعان ملتصقتان بالجانبين واليدان منقبضتان بشكل كامل بحيث يتجه الإبهام في كل منهما إلى أسفل بشكل ظاهر . ومن ثم فإن التأثير الفني هنا آتٍ من مصر إلى شمال غرب الجزيرة(١٥) .

٢

وأنتقل الآن إلى جانب آخر من العلاقة بين المنطقتين موضوع الحديث ، وهو جانب يظهر فيه الطابع السياسي بالدرجة الأولى وإن كانت له متعلقاته الاقتصادية والعسكرية . ويبدأ هذا الجانب في الظهور في الشطر الأخير من القرن الثامن ق.م. فقد ظهر على الساحة آنذاك ظرفان أديا إلى التقارب السياسي بدرجة ملحوظة بين شمال وشمال غرب الجزيرة العربية وبين مصر في مصلحة مصيرية مشتركة . وأول هذين الظرفين هو أن المنطقة العربية المذكورة بدأت تتعرض لحملات عسكرية متتابعة من جانب الملوك الآشوريين وذلك ضمن حملات هؤلاء الأخيرين على بلاد الشام لإدخال هذه المنطقة ضمن دائرة نفوذهم . وقد كان التقارب بين المنطقة العربية وبلاد الشام ، وبخاصة قسمها الجنوبي أمراً طبيعياً بالنسبة للطرفين ، فقوافل التجارة (بما فيها من سلعة البخور) الآتية من شرق وجنوب الجزيرة العربية كانت تمر بالمنطقة العربية في شمال وشمال غرب الجزيرة كمفصل تجاري رئيس نحو بلاد الشام التي كانت مدنها الساحلية تمثل مصبّات هذه الطرق التجارية على البحر المتوسط بدءاً من غزة وعسقلان في الجنوب وامتداداً نحو الشمال ، ومن ثم فإن أي تعرض للوضع العادي القائم في المنطقة

كان يؤرق الطرفين . وقد بدأ هذا التعرض على عهد الملك الآشوري شليمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ق.م.) ، الذي أدى موقفه من بلاد الشام إلى تكوين حلف للتصدي له ، ظهرت فيه مدن بلاد الشام كما ظهر فيه «جندبو» ملك «العربية» - وهي القسم الشمالي والشمالي الغربي من الجزيرة العربية في تصور الآشورين - وكانت نهاية هذا الوضع هي موضعة «القرقر» التي انتصر فيها الملك الآشوري على الحلف المذكور في السنة السادسة من حكم هذا الملك(١٦) . أما الظرف الاخر فهو موقف مصر المتوّجس من ظهور دولة الآشوريَين ، كدولة قوية في الشرق . وفي هذا الصدد فإن علاقات الإعتراف المتبادل والمصاهرة بين الأسرتين الحاكمتين في كل من وادي الرافدين ومصر منذ عهد أمنحتب الثالث في القرن الرابع عشر ق.م.، كانت صورتها قد بدأت تختلف منذ أواسط القرن التاسع ق.م. من حيث أن مصر آنذاك لم تعد على قوتها القديمة ، بينما كان الصعود السريع للقوة الآشورية وامتداد تحركاتها العسكرية إلى المنطقة الملاصقة للحدود المصرية الشرقية بشكل مباشر تخلق موقفاً ضاغطاً ، إن لم يكن مصيرياً بالفعل ، يجمع بين مصر وهذه المنطقة ، التي يشكل عرب القسم الشمالي والشمالي الغربي للجزيرة شقها الجنوبي .

ونحن نستطيع أن ندرك هذا التوجس المصري مما كان يقوم به الآشوريون في المنطقة العربية الشمالية الغربية بالتحديد حين نقرأ سجل تحركات الملك الآشوري تجلات - پليسر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ق.م.) في هذه المنطقة . فالأماكن التي اكتسحها في حملته تشتمل على موطن الملكة سمسى ملكة العرب ، وعلى تيما (تيماء) وعلى موطن «ايديبعلو العربي» . وهو يلفت النظر في هذه الوثيقة إلى قبيلة الايديبعليين «الذين تقع بلادهم على مسافة بعيدة إلى الغرب» - وهو أمر يقرب تحركات الملك الآشوري كثيراً إلى حيث يشعر المصريون بوطأة تحركاته . ويبدو هذا الاقتراب المخيف من الحدود المصرية في سجل آخر غير معروف السنة من عهد الملك ذاته ، نعرف منه أن المنطقة التي عهد هذا الملك إلى ايديبعلو أن يكون مشرفاً عليها (كجزء من تسوية السلام معه على وجه الترجيح)، تقع مباشرة على حدود مصر(١٧) .

وقد كان من الطبيعي ، في ضوء

هذا الخطر الذي وصل إلى حدود مصر أن تشترك مصر مع المنطقة في التصدي للتحركات الآشورية . وأسوق في هذا الصدد وثيقتين من سجلات الملوك الآشوريين – وترجع أولاهما إلى عهد سناحريب (٧٠٤-٦٨١) . وفي هذه الوثيقة نجد ، إلى جانب بعض المدن من بلاد الشام ، موطنين على الأقل من المنطقة الشمالية الغربية لجزيرة العرب ، وهما إيدوم التي كانت تقع إلى الجنوب من مؤاب (الواقعة بدورها إلى جنوبي عمون)، وتمناع التي ترد في العهد القديم على أساس أنها إحدى مدن منطقة إدوم ، وهي تقع على مسافة قريبة إلى الشمال الشرقي من الطرف الشمالي لخليج العقبة . وإلى جانب هؤلاء نجد أن مصر تُذكر في النص على أنها تدخلت بناءً على طلب المنطقة ، كما يتحدث النص عن المصريين من راكبي العجلات الحربية الذين حاربوا ضد قوات الملك الآشوري في هذه المجابهة العسكرية المشتركة[١٨] .

أما الوثيقة الثانية فيعود تاريخها إلى عهد إسارحدون (٦٨٠-٦٦٩ق.م.) الذي خلف سناحريب على عرش آشور . وهنا نجده يوجه حملة إلى العرب ومصر . ويبدو من الوثيقة أن التجمع العربي من شمال وشمال غرب الجزيرة كان كبيراً ، فقد ظهرت فيها أسماء ملوك وزعماء المنطقة ، من بينهم حزائيل ويتع ويواتو (وهب) ، كما ظهرت فيه أسماء عدد من المدن من بينها أدوماتو (الدومة) – بمنطقة الجوف – التي يصفها الملك الآشوري بأنها معقل العرب وحصنهم ، أما مصر فيظهر اسمها في ثلاثة مواضع في الوثيقة يبدو منها أن إسارحدون يصب قدراً كبيراً من جام غضبه على ملكها تاركو (طهارقه) بسبب تدخله في المنطقة ويذكر فيها الملك الآشوري أنه وصل بقواته إلى رفح التي تقع في المنطقة المتاخمة لنهر مصر[١٩] – وهو أمر يشير إلى ما كان الملك الآشوري يفكر فيه من أن خير طريقة لمنع مصر من مساندة المنطقة هي أن يدفع بجنوده إلى حدودها .

٣

بعد هذه الفترة لا نسمع عن أية علاقات تلفت النظر بين مصر والمنطقة الشمالية والشمالية الغربية للجزيرة العربية ، فقد غطت عليها أحداث أخرى كبيرة . كان من بينها الصراع العنيف بين

الاشوريين والمصريين الذي انتهى باحتلال الملك آشور بانيبال لمصر في ٦٦١ ق.م. لمدة عقدين من الزمان ثم سيطرة مصر على أملاك الآشوريين في بلاد الشام على عهد الملك المصري «نكاو» (٦٠٩-٥٩٣) الذي وصل إلى الشاطئ الغربي لنهر الفرات ، ثم صعود القوة الفارسية وسيطرتها على الشرق الأوسط والأدنى بأكمله ثم فتوحات الاسكندر المقدوني في الشرق وتقسيم امبراطوريته بعد موته في ٣٢٣ ق.م. وظهور ممالك جديدة على أثر ذلك كان من بينها ظهور الدولة البطلمية في مصر والدولة السلوقية في سورية ووادي الرافدين وآسية الصغرى في مستهل القرن الثالث ق.م.

ومع بداية ذلك القرن تبدأ العلاقات بين شمال وشمال غرب الجزيرة العريقة وبين مصر في الظهور مرة أخرى في ظروف دولية نشطة ، وتتخذ هذه المرحلة ، منذ بدايتها ، طابعاً اقتصادياً بشكل أساسي وإن كانت أبعاده الأخرى حاضرة بالضرورة ، تثور بشكل ظاهر مرة في مناطحة القوة للقوة ، ثم تستمر بعد ذلك نشطة أحياناً وكامنة أحياناً أخرى في جانبها السياسي . في ذلك الوقت كانت قد قامت في المنطقة العربية المذكورة قوة الأنباط التي اتخذت من مدينة البتراء عاصمة لها وامتدت حدودها حتى مدائن صالح جنوباً . وسيطرت بذلك على الساحل الشرقي لخليج العقبة . كما كانت على قدر كبير من التنظيم السياسي والازدهار التجاري ، كذلك كان الأنباط تجّاراً من الطراز الأول . كما كانوا قراصنة على قدر كبير من الجرأة(٢٠) . وفوق كل شيئ فقد كان موقعهم على الشوط الأخير من التقاء الخطوط التجارية التي تأتي من جنوب وشرق الجزيرة يجمع خيوط هذه الطرق في البتراء لكي تصب منها في طريق سيناء إلى داخل مصر وفي غزة وبقية المدن الفينيقية على شاطئ المتوسط ، ثم في عودة القوافل مرة أخرى من هذه المصبّات التجارية إلى المناطق الجنوبية والشرقية لشبه الجزيرة .

في ذلك الوقت كانت هناك منافسة غير عادية بين دولة البطالمة في مصر ودولة السلوقيين في سورية ووادي الرافدين وآسية الصغرى (انحسر هذا الامتداد السلوقي بمرور الوقت ليقتصر على سورية) . ثم ما لبثت هذه المنافسة التي قامت مع قيام الدولتين أن تحوّلت بعد فترة

وجيزة إلى صراع لا نخطئ كثيراً إذا أسميناه صراعاً في سبيل البقاء امتد على ثلاث جبهات في وقت واحد هي : الجبهة العسكرية والجبهة السياسية والجبهة الاقتصادية - وهو صراع كان لابد أن يقود البطالمة إلى تعامل اقتصادي تنافسي مع الأنباط الذين رأينا أنهم كانوا يحكمون السيطرة على المفصل التجاري النهائي في رحلة القوافل التي تصل بين الجزيرة العربية والبحر المتوسط جيئة وذهابا .

وفي صدد هذا الصراع نجد أن البطالمة كانوا يشعرون أن هذه الطرق التجارية كانت تحمل السلع التي تنتجها الجزيرة العربية إلى جانب تلك الواردة من الهند وشرق افريقية والتي كانت تصل إلى عدن لتلتحم مع السلع العربية في طريقها إلى الشمال ولتعود بسلع البحر المتوسط إلى هذه المناطق مرة أخرى . وكان البطالمة يعولون على هذه السلع الآتية من الجنوب والشرق ، لا ليغطوا حاجة مصر من هذه السلع فحسب ، ولكن ليعيدوا تصديرها من الاسكندرية إلى جزر بحر إيجه والشواطئ الأوروبية إما على ما هي عليه كمواد أولية مطلوبة ، أو بعد تصنيعها.

وقد أدرك البطالمة من البداية ، وفي ضوء التنافس الرهيب بينهم وبين السلوقيين ، أن حرية الأنباط في توجيه تجارتهم إلى مصر عن طريق سيناء أو إلى غزة والمدن الفينيقية كان يمكن بسهولة أن يشكّل نقطة ضغط عليهم ، إذا سنحت الفرصة أو جدّت الظروف التي تغري الأنباط باتخاذ ذلك كنقطة مساومة . ومن هناك فإن بطليموس الأول (٣٠٥-٢٨٢ ق.م.) قام منذ بداية حكمه بالسيطرة على منطقة الغور وفلسطين وما لبث خلفه بطليموس الثاني ، الملقب فيلادلفوس ، أن أكمل السيطرة التي بدأها بطليموس الأول على المدن الفينيقية . وبهذا العمل السياسي العسكري استطاع البطالمة من البداية أن يجعلوا التحكم في توجيه الشوط الأخير من الخطوط التجارية المتجهة إلى الشمال يخرج من يد الأنباط ليدخل تحت سيطرتهم . وكان معنى هذا في الحقيقة فقدان الأنباط لموقع القوة في مجال المساومة وفرض السعر النهائي على السلع التي تحملها القوافل في هذا الشوط الأخير للطرق التجارية . وفي ضوء هذا يمكن أن نفهم تعرض السفن المصرية في خليج العقبة لعمليات قرصنة من جانب

الأنباط . وهي عمليات يذكر لنا الكاتبان الكلاسيكيان ديودروس الصقلي **Diodorus Siculus** وسترابون **Strabo** ، أن بطلميوس فيلادلفوس جهز حملة بحرية وضعت نهاية لها(٢١) .

على أن بطليموس فيلادلفوس لم يكن يريد أن يترك شيئاً للظروف في هذا الصدد . ومن هنا فإنه عمل منذ فترة مبكرة من حكمه على أن يؤمِّن طريقاً بحرية تربط بين الجزيرة العربية والشاطئ المصري ، بحيث تصل السلع التي تريد مصر أن تتزود بها ، سواء للاستهلاك المحلي أو لإعادة التصدير من الاسكندرية إلى شواطئ البحر المتوسط - من ميناء على شاطئ الجزيرة العربية المطل على البحر الأحمر قبل أن تصل القوافل إلى حدود الأراضي النبطية عند مداين صالح .

وفي هذا المجال نجد فيلادلفوس يعهد إلى أرستون **Ariston** لكي يستكشف له الساحل العربي للبحر الأحمر من شماله حتى التقائه بالمحيط الهندي في أقصى الجنوب(٢٢) . وبعد ذلك عهد إلى ميليتوس **Miletus** ، وهي مدينة يونانية كانت تقع على الشاطئ الغربي لآسية الصغرى وتدخل في نطاق نفوذ البطالمة ، بأن ترسل من أبنائها من يقيمون مستوطنة على الشاطئ المقابل لمدينة العلا (ديدان في العهد القديم) ، التي كانت تتمتع بموقع تجاري ممتاز على الطريق التجارية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها ، وتقع خارج الحدود الجنوبية للأراضي النبطية (وأن كانت على مقربة من مدائن صالح ، المدينة النبطية)(٢٣) . هذه المستوطنة التي أقامها أهل ميليتوس هي أمبلوني **Ampelone** ، ميناء الوجه الحالية . ومن هناك كان بإمكان مستوطنيها أن يحصلوا على ما يريدونه من السلع التي تحملها القوافل إلى العلا قبل أن تدخل إلى منطقة الأنباط ، يحملونها إلى أمبلوني ثم من ميناء أمبلوني يرسلونها عبر البحر الأحمر إلى ميناء القصير على الشاطئ المصري المقابل ، ومن هناك عن طريق القوافل إلى قفط على ثنية النيل المقابلة ، ثم شمالاً إلى الاسكندرية .

هذا الوضع الذي أوجده البطالمة لم يقطع الطريق على التجارة البرية المارة بدولة الأنباط إلى الشمال . فتجارة البحر الأحمر لم تكن قد اجتذبت أنظار التجار

بشكل كاف آنذاك . ومع ذلك فإن هدف البطالمة لم يكن يزيد في الحقيقة عن تأمين الحصول على ما يريدونه من السلع التي تحملها قوافل الجزيرة العربية ، دون أن يتعرضوا تحت أي ظرف غير منظور ، لأي عقبة من جانب الأنباط .

وقد حاول البطالمة بعد ذلك أن يزيدوا في تطويعهم لتجارة البحر الأحمر في محاولة للاستغناء عن الطريق البرية في الجزيرة العربية ، وهو أمر كان من شأنه أن يؤثر على حجم التجارة التي تمر بالقسم الشمالي الغربي للجزيرة . وقد نجحوا في هذا الصدد في أن يرسلوا إلى الهند حملة تجارية بحرية بين ١٤٥ و١١٨ ق.م. على عهد بطلميوس السابع ، ثم حملتين مشابهتين بين ١١٩/١١٨ و١١٦ ق.م. خلال الفترة القصيرة التي حكمت فيها الملكة كليوباترة الثانية ، ولكن حين نصل إلى أواسط القرن الأول ق.م.، قرب نهاية دولة البطالمة ، نجد أن تاجراً سكندرياً يونانياً يدعى هيبالوس **Hippalus** ينجح في التعرف على تناوب الرياح الموسمية في المحيط الهادي على مواسم السنة ، ويكتشف بذلك سراً يبدو أن التجار العرب كانوا يحتفظون به لأنفسهم طوال الوقت . هذا التعرف من جانب التاجر السكندري فتح أعين التجار الذاهبين إلى الهند والآتين منها على الطريق البحرية الآتية بين الهند والبحر المتوسط عن طريق المحيط الهندي والبحر الأحمر ومن ثم إلى نهر النيل ثم الاسكندرية . وقد بلغ هذا الوعي التجاري البحري درجة الانطلاق في الربع الأخير من القرن الأخير ق.م. أن حوالي ١٢٠ مركباً تدخل إلى البحر الأحمر في طريقها من الهند إلى الاسكندرية ، في الموسم الواحد ، بينما كان هذا العدد لايزيد في عصر البطالمة (السابق لهذا التاريخ) عن عشرين مركباً[٢٤] .

ونتيجة لذلك فإن قدراً كبيراً من التجارة البرية التي كانت تصل بين جنوب الجزيرة وشمالها مارة في شوطها النهائي بالمنطقة الشمالية الغربية للجزيرة ، قد تحول إلى تجارة بحرية إلى الاسكندرية مباشرة بحيث نجد أن كاتب الدليل البحري الذي عرف باسم «الطواف حول البحر الاريتري» (يقصد به المحيط الهندي والبحر الأحمر) والذي كتبه في وقت ما في القرن الأول الميلادي ، يذكر أن الاسكندرية قد أصبحت الآن هي مركز

التبادل التجاري بين الهند وأوروبه بعد أن كانت عدن تشغل هذا المركز من قبل[٢٥] .

هل أثّر ذلك النشاط التجاري على القسم الشمالي الغربي لشبه الجزيرة العربية؟ لقد تحول جزء كبير من هذا النشاط بالضرورة إلى البحر الأحمر والاسكندرية ، ولكن مع ذلك فإن الحجم الفعلي للسلع المحمولة على الخط التجاري البري يبدو أنه لم يتأثر كثيراً ، وسبب ذلك أن حجم النشاط التجاري الدولي في حدٍّ ذاته كان قد تزايد في ذلك الوقت إلى حد كبير . وفي هذا الصدد يذكر لنا بلينيوس الكاتب الروماني الذي عاش في القرن الأول الميلادي (٢٣/٢٤-٧٩م) ما يشير إلى أن الطيوب والتوابل العربية لم تكن تعاني من أي بوار في تسويقها . فقد أصبح محصول اللبان في وقته يجمع مرتين في العام بعد أن كان يجمع مرة واحدة قبل ذلك ، وهو أمر يشير إلى رواج هذه التجارة ، كذلك يذكر لنا بلينيوس أن إقبالاً كبيراً على تجارة البخور العربي قد تم في وقته ، فالامبراطور نيرون ، حسبما يذكر هذا الكاتب ، قد أحرق من البخور في الاحتفال الجنائزي الذي أقامه في مناسبة موت زوجته أكثر مما تنتجه الجزيرة العربية في عام كامل[٢٦] وهو كلام ، إذا كان فيه قدر من المبالغة إلا أنه يشير دون شك إلى الحجم المتزايد لاستيراد هذه السلعة من الجزيرة العربية .

ويبدو أن الأمر استمر في هذا الرواج حتى الفترة التي شهدت ظهور الدعوة الإسلامية ، فقد شهدت تلك الفترة ظهور تجار أغنياء في مكة في حجم أبي بكر وأبي سفيان ، كما أن شهادة القرآن الكريم بما تدره هذه التجارة من جنوب شبه الجزيرة إلى شمالها (وبالعكس) تبدو واضحة من الآية الكريمة عن رحلة الشتاء والصيف التي أنعم بها على قريش رب البيت «الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» .

الحواشـــــي

١- راجع شكل ١ و ٣ من اللوحة الأولى .
٢- راجع شكل ١ و ٢ من اللوحة الثانية .
٣- راجع شكل ٢ من اللوحة الأولى .
٤- مثل الملوك والزعماء جندبو وحزائيل ووهب ومثل الملكات سمسى وزبيبي الذين ترد أسماؤهم في المتن أدناه .
٥- مثل قصر الخورنق وقصر السدير في الشرق ولا يوجد لهما أثر الآن . عن صورة لقاعدة عمود حجري من أحد أبنية قلعة الأبلق في تيماء راجع :

An Introduction to Saudi Arabian Antiquities, Department of Antiquities and Museums, Ministry of Education, Kingdom of Saudi Arabia, 1395 A.H. - 1975 A. &., p. 75 .

٦- المرجع ذاته : ص ٧٩ (الترقيم الافرنجي) .
٧- المرجع ذاته : الخريطة ، الصفحة الموجودة في بدايته .
٨- راجع الوثائق المذكورة في المتن أدناه .
٩- على سبيل المثال من عهد سناخريب ومن عهد اسارحدّون :

ANET (Ancient Near Eastern Texts), edited by J.B. Pritchard), Princeton, 1955, pp. 288, 292.

١٠- المرجع ذاته ، ص ٢٨٤ .
١١- المرجع ذاته ، ص ٢٢٩ .
١٢- الصورة في :
عبدالمنعم عبدالحليم عبدالله ، البحر الأحمر وظهوره في العصور القديمة ، الاسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص٤٤٣ .
١٣- الصورة في :

An Introduction to Saudi Arabia Antiquities, p. 65 .
Jaussen et Savignac: *Mission d'Archeologie en Arabie,* Tome II,. Paris, 1914, pp. 56-7

١٥- أنظر لوحة ٤ .
١٦- *ANET,* p. 279 .
١٧- المرجع ذاته ص ٢٨٣ .
١٨- المرجع ذاته ص ٢٨٧ . تمناع في العهد القديم : سفر التكوين ، اصحاح ١٦ ، آية ٤٠ .
١٩- المرجع ذاته : ص ٢٩١-٢٩٢ .

٢٠- Diod.: II, 48,2; Rostovtzeff: *Social and Economic History of the Hellenistic World,* Oxford, 1953, p.387.

٢١- Diod.: III, 43, 4; Strabo:, XVI, 4 : 12,

٢٢- Diod. III, 42, 1.

٢٣- لم تدخل «العلا» تحت سيطرة الأنباط إلا في أواخر القرن الأول ق.م.

٢٤- Strabo : II, 5, 12; XVII, 1. 12.

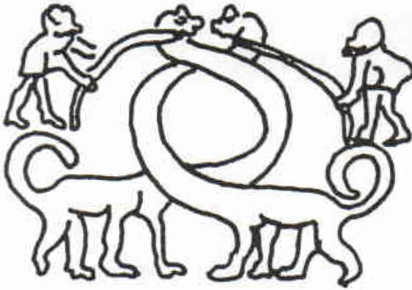
٢٥- Periplus *Maris Erythraei* (Lionel Casson's edition, Princeton, 1989), 26. Cf. Strabo, II, 5, 12.

٢٦- Plinius: *Historia Naturalis,* XII, 58, 83

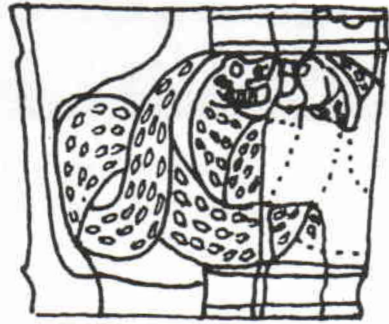
اللوحة الأولى



١



٢



٣

١- نقش على ختم اسطواني من وادي الرافدين (العصر السومري) .

٢- القسم الأوسط من لوحة نعرمر .

٣- نقش على حجر من شرق الجزيرة العربية .

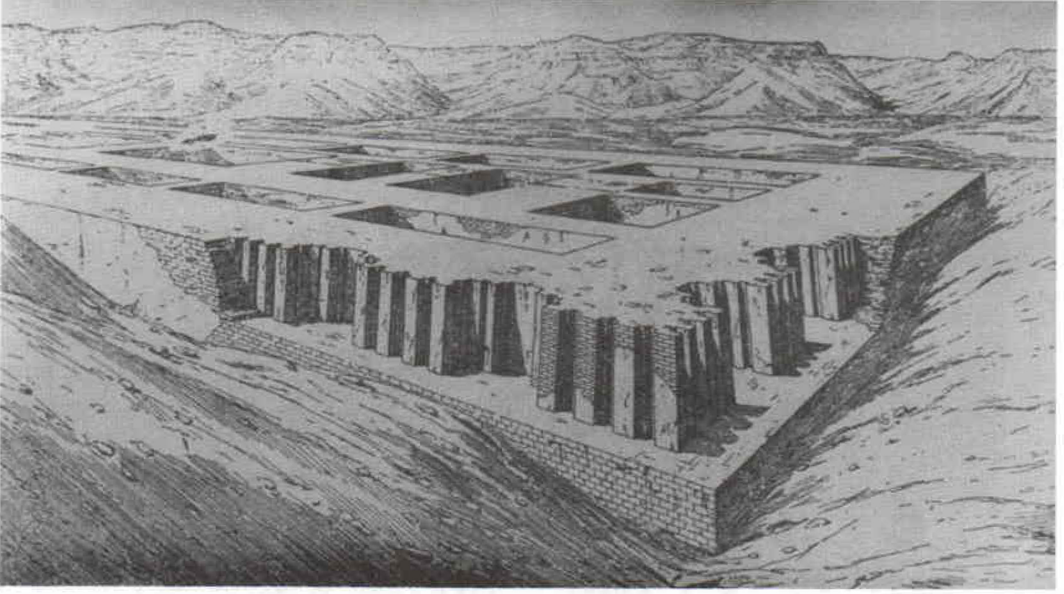
١ ,٣ : عن :

Michael Rice: Egypt's Making, London, 1995, p. 78.

٢ : عن :

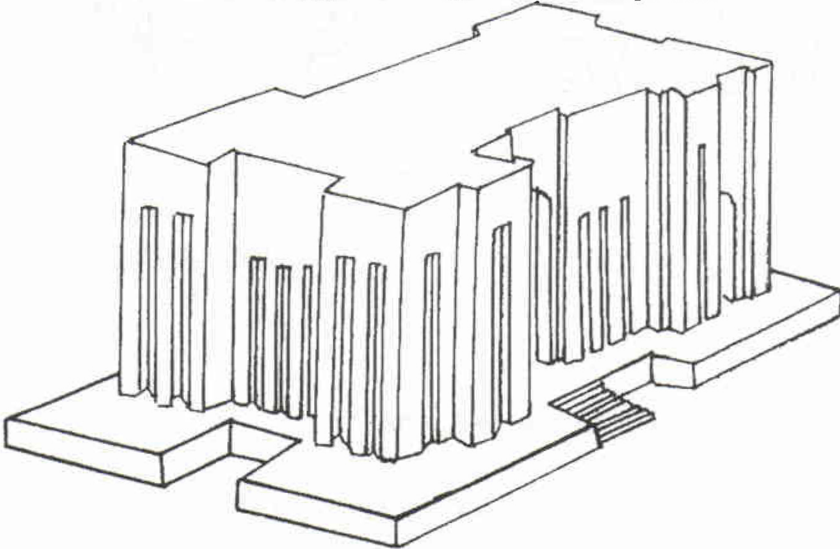
عبدالمنعم عبدالحليم السّيد : حضارة مصر الفرعونية ، الاسكندرية ، ١٩٧٨ . ملحق اللوحات والأشكال ، لوحة ٢ ، شكل ٣ ب

اللوحة الثانية



١- مصطبة (مقبرة) الملكة نيت - حتب ، زوجة الملك نعرمر . عن :

Michael Rice: Egypt's Making, London, 1995, p., 160.



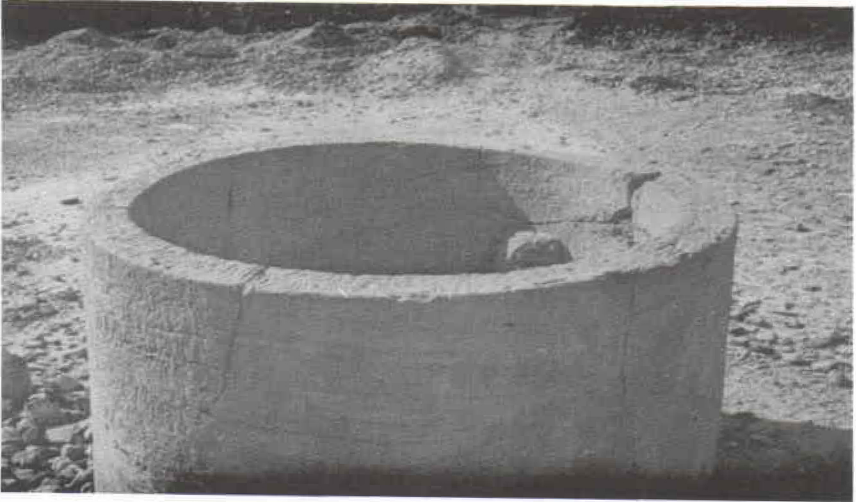
٢- المعبد السابع أريدو (وادي الرافدين) ثقافة العبيد . عن :

George Roux: Ancient Iraq, Penguin Books, 1964. مقابل ص ٢٤٠

اللوحة الثالثة



١- سور قصر الرضم ، تيماء ، عن :
Saudi Arabian Antiquities, p. 79.

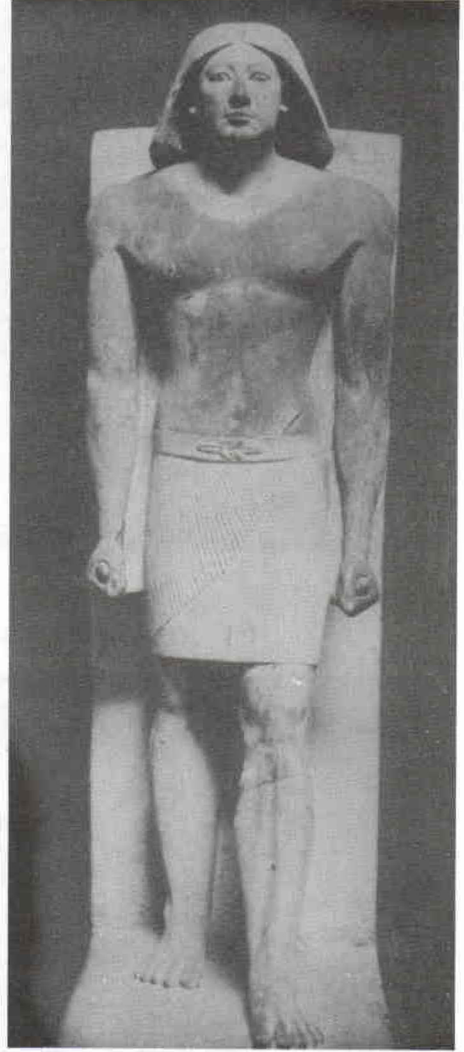


٢- «محلب الناقة» المعبد اللحياني ، العلا ، عن :
Saudi Arabian Antiquities, p. 65.

اللوحة الرابعة



تمثال عثر عليه في المعبد اللحياني ، العلا ، عن :
Saudi Arabian Antiquties, p.65.



تمثال للمقارنة ، الكاهن الأعلى ،
الأسرة الخامسة ، مصر القديمة – عن :
Cyril Aldred : Egyptian Art, London, 1993, p. 98

تعقيب مدير الندوة :

أيضا لاحظت أن الدكتور أحب أن يتوقف عند حدود مصر الجنوبية ولم يحاول أن يدخل الى السودان . في فترة متأخرة السودان كان له دور كبير جدا في تغيير السياسة في مصر بل والسيطرة على مصر بالكامل هذا من ناحية .

من ناحية ثانية أن الدكتور عبدالقادر محمود درس اللغة المروية ووجد تأثيراً عربياً (لحياني) بشكل خاص على الكتابة المروية مما يدل على وجود علاقة قوية بين جنوب وادي النيل وبين شمال غرب الجزيرة العربية وبالتحديد منطقة العلا .

قد نجد أيضا أن الهجرات العربية شمال غرب الجزيرة كانت كما حصل في العصور الحديثة من الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى مصر إلى السودان ، لابد أنه كانت توجد علاقات وبذلك يمكن أن يحتاج الجانب هذا لنوع من التغطية ولم يجد الدكتور فرصة لتغطية هذا الجانب رغم أنه داخل في تخصصه .

شئ آخر بالنسبة للحوض الموجود في العلا ، قال الدكتور أن الحوض في معبد حتحور ، الحوض الموجود في العلا أيضا في وسط المعبد .

ولذلك هذا التشابه - اذا صحت المقارنة - فيبدو أنه في توافق ديني في هذه الفترة بين ما هو موجود في العلا وبين ما هو موجود في معبد حتحور .

علاقات الخليج العربي بشمال الجزيرة العربية في العصور القديمة

أ.د. معاويه إبراهيم
جامعة السلطان قابوس

لقد تمت إعادة تقييم أدوات العصر الحجري القديم التي تم الكشف عنها في العديد من مواقع شرقي الجزيرة العربية ، وخاصة ما يعرف بشفرات السهام (blade-arrow heads) واتبعت من غالبية الباحثين الى العصر الحجري الوسيط (mesolithic) أو العصر الحجري القديم الأعلى (epipalaeolithic) ، وتتناسب هذه مع ما يعرف بالثقافة الكبارية أو النطوفية من حيث طبيعة المرحلة واشكال الادوات الصوانية ، علما بأن التاريخ المقترح لهذه المرحلة في الخليج حوالي ٧٦٠٠-٥٠٠٠ق م (potts 1990,32) . وفي أوضح الأمثلة على هذه الثقافة ما تم العثور عليه في المواقع القطرية (Qatar Industry) وعدد من المواقع العمانية (ساروق وقهيد وبير خسفه ورملة فساد وحبروت وكذلك في الطبقات السفلى من عين قناص جنوبي واحة الحسا وواحة يبرين) ، ويخلص الباحثون بأن العصر الحجري القديم كما هو متعارف عليه في شمال غرب الجزيرة العربية غير ممثل في الجزء الشرقي منها ، الا ان النقاش حول هذا الموضوع لم يصل إلى نهايته بعد ، ومن الضروري وضع مواقع ما قبل التاريخ في الخليج العربي وما يتصل بها من دراسات وأعمال ميدانية على قائمة الأولويات .

ويبدو أن أولى التأثيرات الحضارية بين شمال غرب الجزيرة العربية وشرقها كانت قد طرأت في العصر الحجري الحديث (النيوليثي) . لقد تميزت مواقع العصر النيوليثي في منطقة الخليج العربي بأدوات صوانية بما في ذلك مكاشط وشفرات برؤوس حادة تذكرنا بأدوات

مماثلة من مواقع جنوبي بلاد الشام وسيناء (كفافي ١٩٩٠، Bar-Yousf 1981).

هذا مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الدراسات المتعلقة بالعصور الحجرية في شمالي غرب الجزيرة العربية حتى الآن أكثر كثافة وتفصيلاً منها في منطقة الخليج العربي ، كما اننا بحاجة الى تتبع المواقع والممالك التي أدت إلى هذه التأثيرات المتبادلة . وفي الوقت الذي نرى بعض التشابه في عدد من الادوات الصوانية ، الا انه يجب تصور كثافة القرى الزراعية وحجمها في الألفين الثامن والسابع ق.م في شمالي الجزيرة العربية وجنوبي بلاد الشام مقارنة مع مواقع هذه المرحلة في شرقي الجزيرة العربية وجنوبها الشرقي حيث اعتمد السكان حياة الصيد وجمع الطعام ، ولم يلجأوا بعد إلى الانتاج والرعي (Rice 1994, 81) . وغالباً ما يكون لمرحلة التطور هذه وأوجه الاختلاف علاقة مباشرة بالتغيرات الجيولوجية والظروف البيئية في المنطقتين (Potts 1990, 35) ولعل من أهم الحفريات التي أجريت حتى الآن في مواقع العصر النيوليثي قبل الفخار في شبه الجزيرة العمانية تلك التي أجريت في موقع رأس الحمراء بالقرب من العاصمة العمانية - مسقط - وكشفت البعثة الايطالية باشراف ماورتسيو توزي منذ عام ١٩٧٧م النقاب عن مجموعة من المواقع السكنية التي يعود اقدمها للألف السادس ق.م (RH 10, RH 7) . تتضمن هذه المواقع أساسات لمنازل ومواقد ومجموعات كبيرة من الأدوات الصوانية والصدفية ، اضافة إلى بعض الحلي من الخرز والصدف . كما عثر المنقبون ايضاً على قبور من هذه الفترة في موقع RH10 تتضمن عظاماً محروقة بين حجارة المدافن لتعكس أقدم ما نعرفه عن عادات الدفن في شبه الجزيرة العمانية (Biagi and Nisbet 1989).

العصر النيوليثي الفخاري :

شهدت المرحلة المتأخرة من العصر الحجري الحديث (الالف الخامس ق.م) اكتشاف الفخار كأدوات وأوان للاستعمالات اليومية ، بعد أن مضى وقت طويل (حوالي ثلاثة الاف عام) على حياة الاستقرار والانتاج في شمالي الجزيرة العربية .

بقي الاقتصاد في شرقي الجزيرة العربية معتمداً على حياة الصيد وجمع

الطعـام ، وبشكل رئيس صـيـد الأسـمـاك داخل الأخـوار والقـريبـة من الشـواطئ ، وهذا مـا تعكسـه الادوات الحـجـرية التي وجدت في مواقع هذا العصر كالتي تعرف بالشظايا المجنحـة (Winged Flakes) والسكاكين والمكاشط والمناشير والمطارق والسنانير .

تتضح الصورة حول ماهية مواقع هذا العـصـر عند ظهـور نوع مميـز من الفخار الملون والمعروف بفخار العبيد الذي كشف النقاب عنه في اكثر من خمسين موقعاً في منطقة الخليج العربي ابتداءً من البحرين وقطر والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وشبه الجزيرة العمانية . لقـد دفـع تعـدد هذه المواقـع وتاريخـهـا المبكر بعض الآثاريين للاقتراح بأن موطن هذا الفـخـار وصـانعيه من الخليج العربي (Masry 1974) ، وهذا بخـلاف الاعـتـقـاد السـائد سابقا بأن نشوء هذه الثقافة كان في جنوبي العراق حيث تم التعرف لأول مرة على هذا الفخار الملون والمنسوب إلى الموقع المعروف بتل العبيد .

تمثل هذه المواقع استـقـراراً واسـع النطاق في الخليج العربي يعتـمـد جزئيـاً على الانتاج واستئناس بعض الحيوانات والنبـاتات ، اضـافـة إلى اسـتـغـلال لموارد البـيـئـة الأخـرى التي كـان يصطادها ويجمعها . رغم تعدد هذه المواقع ، الاّ أن الأعمال الميدانية التي أجريت حتى الآن لم تكشف عن مخلفات معـمـارية واضـحـة المعـالم تصـور لنا طبـيـعـة الاسـتـقـرار بتـفـاصـيله ، مع ان بعض المواقع تمثل تعاقباً سكنياً كما تعكسه الطبقات الممثلة فيها . من المواقع التي نقب فيها عبدالله المصري وكشف عن طبقات متعاقبة فيها الدوسرية وعين قناص وابو خميس . ومن المواقع التي يتـوجب ذكـرها ضـمـن هذه الثقافة ، الخور والدعاسة في قطر والمرخ في البـحـرين وندقـان شرقي الربع الخـالي والقاسمية بالقرب من الشارقة وجبل هوايه في البريمي وكذلك السيق والميس في وسط عمان وراس الحمراء (RH10, RH5, RH6).

وكشفت البعثة الفرنسية في قطر عن ثمانية مدافن مدببة في مواقع الخور ، وجد في اربعة منها هياكل عظمية منحنية الأطراف ومـعـهـا بعض مكتشـفـات فـتـرة العـبـيـد بما في ذلك خـرز من الحـجـر والاوبسيديان وأصداف خليجية .

لم تقتصر ثقافة العبيد على الامتداد نحـو الجنوب لتـغطي تقـريبـاً كـامـل الخليج

العربي وانما انتشرت ايضا في الشرق نحو ايران والشمال باتجاه بلاد الشام . امتداد هذه الثقافة نحو وسط بلاد الشام وجنوبها يحتاج إلى المزيد من المتابعة والبحث .

علاقات الخليج العربي وشمالي الجزيرة العربية في الالف الثالث ق.م :

من الواضح ان العلاقات بين الخليج العربي والمناطق الشمالية كانت قد تطورت في الالف الثالث قبل الميلاد عبر بلاد ما بين النهرين ، ولم تكن المسافات الطويلة بين مختلف مناطق الجزيرة العربية تقف حاجزاً دون توثيق التبادل الحضاري بينها .

ولعل للبعد الاثنى والديني علاقة كبيرة في العلاقات بين هذه المناطق . ورغم ان الوثائق المكتوبة التي أخذت تظهر منذ نهاية الالف الرابع ق.م لا تحدثنا بشكل واضح عن طبيعة الصلات الاثنية والدينية ، وانما تضع في اعتبارها بشكل رئيس العلاقات الاقتصادية والعسكرية ، خاصة بين سكان بلاد ما بين النهرين وبلاد دلمون ومجان .

ومعلوماتنا عن الصلات الدينية والحضارية الأخرى مستمدة بشكل رئيس من المكتشفات التي كشفت عنها الحفريات على امتداد المنطقة الشرقية والشمالية الشرقية من شبه جزيرة العرب .

ومما لا شك فيه بأن للخليج العربي الفضل الاكبر في اقامة الصلات الاولى بين حضارة شبه الجزيرة الهندية ومختلف مناطق الشرق القديم ، وذلك منذ مستهل الالف الثالث ق.م أو حتى قبل ذلك . ولقد أظهرت الحفريات التي أجريت في عشرات المواقع الخليجية تفاصيل مثيرة تدلل على هذا الدور الذي سنلقي عليه بعض الضوء .

عادات الدفن في الخليج العربي وصلاتها بشمال غرب الجزيرة العربية :

لعادات الدفن أهمية خاصة في الكشف عن الصلات الحضارية بين عدد من مناطق الجزيرة العربية والبلدان المجاورة الأخرى ، وتأتي هذه الأهمية من خلال ارتباط عادات الدفن بالمعتقدات الدينية والروابط الآثنية وعوامل البيئة الأخرى .

هناك ظواهر معينة في عمليات دفن الموتى التي تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن

علاقة قوية قد نشأت بين سكان الخليج العربي وشمالي الجزيرة العربية . ولعل لهذه الظواهر صلات بتنقل المجموعات البشرية أو حدوث هجرات للمناطق المختلفة .

يمكن للباحث ان يتابع التحركات السكانية من خلال اجراء دراسة مقارنة لعادات الدفن بشكل أوضح من دراسته للمواقع السكانية وأوجه الشبه بينها . اذ تتغير الأنماط السكنية تبعاً لتغير البيئة ومواد البناء والظروف الاقتصادية ، بينما تحافظ المجموعات السكانية على طريقة دفن الموتى والطقوس المرتبطة بها رغم تنقلها او هجرتها إلى مناطق أخرى .

أقدم مدافن الخليج ذات العلاقة تعود للألف الرابع ق.م وتم الكشف عنها في موقع رأس الحمراء (RH5) بمنطقة القرم قرب مدينة مسقط حيث تم الكشف عن مجموعة من حفر الدفن على عمق حوالي ٦٠-٨٠ سم وكانت محددة بحجارة غير مشغولة وتم تغطيتها ببلاطات حجرية، ووجدت الهياكل العظمية ملقاة على جانبها الأيمن وبشكل قرفصائي مع ضم اليدين أمام الوجه ، يمكن تتبع ظاهرة الدفن هذه منذ هذه الفترة وحتى النصف الاول من الألف الثاني ق.م. ولم يقتصر الدفن الفردي القرفصائي على منطقة الخليج ، وانما أمكن تتبعه في بعض مواقع بلاد ما بين النهرين وفي عدد كبير من مواقع بلاد الشام مع نهاية الالف الثالث وبداية الالف الثاني ق.م.

غالبا ما يظهر هذا النوع من المدافن تحت عنوان المدافن الركامية (Cairn tombs) وسنحاول هنا تتبعها زمنيا وجغرافيا .

مدافن حفيت :

تم التعرف على مدافن حفيت في واحة البريمي من شبه الجزيرة العمانية منذ الخمسينيات عن طريق البعثة الدنماركية العاملة في الخليج باشراف جلوب (P.V. Glob) . وقد أمكن تأريخها الى مستهل الالف الثالث ق.م بناء على مقارنات الأواني الفخارية التي وجدت بداخلها مع فخار من جنوبي العراق ينسب الى عصر جمدت نصر . وتوالت اكتشافات هذا النوع من المدافن في عدد كبير من مواقع شبه الجزيرة العمانية بما في ذلك جبل حفيت ووادي الجزي وعبري وبات ووادي سمد وبسيا وقرن بنت سعود ومليحة وغيرها .

والمقابر المعروفة بمدافن حفيت (شكل ١) مبنية من الحجارة غير المشغولة على شكل جدران دائرية متوازية يتوسطها غرفة الدفن التي يمكن الوصول إليها من الأعلى او من خلال مدخل جانبي . كثيراً ما تبرز هذه المدافن فوق المرتفعات أو على اكتاف الصخور ، ولكن وجودها لا يقتصر على المرتفعات العالية (Frifelt 1971, Potts 1986) .

مع نهاية الالف الرابع ق.م أخذت العلاقات بين الخليج العربي وبلاد ما بين النهرين تتوثق وتتطور ، ولكنه يصعب علينا تتبعها شمال الجزيرة العربية . نستطيع ان نتتبع العلاقات مع العراق من خلال مجموعات من الخزف الذي ينسب الى عصر جمدت نصر او عصر فجر السلالات . مثل هذه الاواني الفخارية وجدت في عدد من المواقع البحرينية والقطرية وفي المنطقة الشرقية بما في ذلك سبخة حمام بالقرب من ابقيق ، كذلك في واحة يبرين (1973: 48,52 Bibby) وفي ام الرماد شمالي واحة الهفوف (Burkholder 1974, 162) وفي منطقة الظهران – الدمام (Potts 1986, 125) وجزيرة تاروت وجبل حفيت . بالاضافة الى الفخار توجد مجموعات كبيرة من أواني الحجر الصابوني التي يمكن مقارنتها بعصر فجر السلالات . وفي دراسة حديثة لهيلين ديفيد (David 1996, 32-46) أمكن تتبع ما يزيد عن ألفي آنية من هذا الحجر الطري في مختلف مناطق الشرق القديم من الالف الثالث ق.م ، وتبين للباحثة الفرنسية ان ثلثي هذا العدد من أصل خليجي ، ونصف الأواني الخليجية من مواقع عمانية . ومع أن مقارنات تجدها في المنطقة السومرية في وسط وجنوب بلاد ما بين النهرين ، الا انه يمكن تتبع ظهورها حتى شمالي سوريا لتشمل مواقع مثل تل حريري (ماري) وتدمر .

كما وجدت أختام من عهد جمدت نصر في موقع الحجر (البحرين) وفي جرها إلى الشمال من العقير شرق الجزيرة العربية .

ويشير دانيال بوتس (Potts 1986, 132) الى كسرة فخارية عليها طبعة ختم اسطواني بالطابع السوري تم العثور عليها في الموقع السكني من جزيرة ام النار ، ويمكن مقارنتها بطبعات أختام من عصر فجر السلالات تم العثور عليها في

تل مـرديخ (ابلا) . كـمـا أمكن مـتـابعـة الأختـام الخليـجيـة المستـديرة والمعروفـة بالأختـام الدلمونيـة حتى عـدد من مـواقع شمالي سوريا وأواسط الاناضول .

تكشف عـادات الدفن مع نـهـاية الألف الثـالث ق.م عن علاقـات وثيـقـة بين الخليج العـربي وشـمـال غـرب الجـزيرة العربية . هذه العلاقـات كانت تتركز في ذهن البـاحث الحـالي عندمـا كـان يقـوم بحفريات في حقل مدافن سار في البحرين بين ١٩٧٧-١٩٧٩ والتي رأى فيـهـا آنذاك اوجـه شـبـه لا يمكن تجـاهلهـا (ابراهيم ١٩٨، ١١٩) . ولكن اعـتـبـارات البـعـد الجـغرافي حـالت دون ان يُضمِّنهـا بحثـه الذي صـدر عـام ١٩٨٢ (Ibrahim 1982) حـول حفريات البعـثة العربية في الموقع المشار اليه . منذ ذلك الحين والاكتشافات المتعلقة بعادات الدفن تتوالى في أنحاء مـخـتلفـة من الخليج العـربي ، واخـذت تتكشف المزيد من المقارنات التي تستدعي النظر اليـهـا عن قرب ، خـاصـة وان امـثلة مـقارنة قد تم العثـور عليـهـا في منطقـتي دجلة والفـرات الامـر الذي يسـاعدنا على تتبع اوجه الشبه على نحو متسلسل .

لقد اشرنا في بداية هذا البحث الى ظهـور مـدافن فـردية من عـصـري العـبـيد وحفيت في الخليج العربي . اننا نجد هذه الظاهرة المتميزة في حقـول الدفن المتعاقبة عبـر الالف الثـالث ومسـتـهل الالف الثـاني ق.م على كـامل الأراضي الخليـجـيـة من الشمال إلى الجنوب حتى جزيرة مصيره (شكل ١) . من الواضـح ان للمـدافن هذه قـدسـيـة من نوع خـاص في الخليج الأمـر الذي حـدا بسكان الالف الثـالث ق.م الى انشاء بل تشـيـيد مـئات الآلاف من المدافن عـلى شـكـل تلال أو أبـراج أو مـــــدافـن مـترابطة ، اضـافـة الى عـدد من المدافن المحفورة في الصـخـر أو الأرض الطبـيعية على شكل مـداخل رأسـيـة . هناك بعض المدافن الجماعية التي تم الكشف عنها في حـقـول هيلي وام النار وغـيـرها ، الا ان الغـالبـيـة العظمى من المدافن التي أُجري فيـهـا حفريات على أرض البـحرين وسـائر مناطق الخليج بما في ذلك شبـه الجـزيرة العـمـانيـة فـردية ، أي أنها تتبع شـخـصـاً واحداً . أدى هذا التقليد إلى خلق ضائقة كبـيرة في البـحـرين من خلال انشاء تلال المدافن الفـردية حتى زاد عددها على ٢٠٠ الف مـدفن الأمر الذي دفـعـهم في النهاية (بداية الالف الثـاني ق.م) الى بناء مـا

يعرف بالمدافن المترابطة التي تشغل حيزاً اصغر مع الابقاء على الدفن الفردي .

تغطي مدافن البحرين فترة تزيد على الف سنة لتشمل الالف الثالث ق.م بكامله ، ابتداءً من تلك التي تشبه مدافن حفيت وانتهاءً بالمدافن المترابطة ومدافن الحجر المقطوعة في الصخر ، كما تدل انواع المدافن المختلفة على تواصل دونما انقطاع في عادات الدفن طوال الفترة المشار اليها .

تمثل هذه المدافن في حقيقتها عنصراً هاماً من ثقافة (حضارة) المنطقة بأكملها على نحو يصعب تتبعه زمنياً وجغرافياً في العناصر الحضارية الأخرى كالمواقع السكنية والأواني الفخارية والدراسات المعدنية .. الخ .

لقد تركز وجود تلال المدافن الركامية في البحرين (شكل ٢ . ٣) على نحو لا مثيل له في أي منطقة أخرى من الخليج ، ولعلها من المناطق المثالية لتتبع التطور الذي طرأ على عادات الدفن والطريقة التي أنشئت فيها المدافن المتعاقبة . لكن هذا لا يعني ان هذه المدافن مقصورة على الجزيرة التي كانت مركزاً دينياً وسياسياً لحضارة دلمون التي تعرفنا عليها تاريخياً من المصادر الرافدية، ومادياً من خلال المخلفات الحضارية التي كشفت عنها الحفريات الاثرية في المواقع السكنية والمدافن على حد سواء .

تنتشر المدافن الركامية مهما اختلفت اشكالها وأحجامها في كامل المناطق الخليجية بما في ذلك المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية حيث تم التعرف على مجموعة كبيرة من حقول المدافن التي يمكن مقارنتها بمدافن البحرين من حيث الشكل وطريقة الدفن والمرفقات الجنائزية (شكل ٣) ، كما أمكن التعرف عليها في عدد من الامثلة التي كشفت عنها البعثة الفرنسية في قطر . هذا مع العلم بأن الحفريات واعمال الاستكشاف الاثرية لم تتوصل بعد الى الكشف عن مثل هذه المدافن في الكويت ، حتى فوق جزيرة فيلكا التي شهدت تواصلاً في الحياة السكنية في الالف الثالث ق.م .

تغطي المدافن الركامية شبه الجزيرة العمانية ، وتكشف الاعمال الميدانية كل سنة تقريباً عن أمثلة اضافية من المدافن التي تضيف الى معلوماتنا عن عادات

الدفن في المنطقة . ورغم الاختلاف في الشكل في عدد من المدافن المشار اليها فانها تعتبر في نظر الباحث الحالي ولدى عدد من الباحثين الآخرين جزءاً من حضارة مجان التي تشكل مع دلمون توأماً بل امتداداً حضارياً لا يمكن وضع حدود فاصلة بينهما .

تضم المدافن العمانية مدافن ركامية كما عرفناها في مرحلة حفيت المنتشرة في غالبية المناطق الخليجية ، الا أنها اخذت تتطور من حيث الشكل وطريقة الانشاء على نحو يختلف عن تلك التي عرفت في البحرين واليابسة المتاخمة لها . ففي شبه الجزيرة العمانية ظهرت في مرحلة أم النار عدة أنواع من المدافن منها المدافن ذات المداخل الرأسية ومنها المدافن الدائرية بتقسيمات داخلية وكذلك المدافن التي تشبه خلية النحل والمدافن البرجية . مثل هذه المدافن نجدها منتشرة بأعداد كبيرة فوق المرتفعات وعلى المنحدرات وحتى في المناطق السهلية من كامل شبه الجزيرة العمانية .

يمكن تتبع المدافن الركامية في مناطق أخرى كثيرة من الجزيرة العربية تصل حتى الفاو (الانصاري ١٩٨١، ٤٦) واليمن ومناطق مختلفة من شمال وشمال غرب الجزيرة العربية لتصبح أكثر أنواع المدافن انتشاراً في المنطقة بكاملها (Nayeem 1990, 86 ١٩٨١ انجراهام وآخرون) .

ففي المناطق الشمالية والشمالية الغربية نجدها في مواقع مثل ابونسيبه (Abu Nasibah) حيث يرتفع بعضها حوالي ٣م فوق سطح الأرض ، كما تتصل بعض المدافن الركامية بمنشآت اخرى على شكل ذنب تصل حتى ٤٥٠م (شكل٥) . ووجدت المدافن الركامية ايضا في منطقة الجوف بالقرب من أعمدة الرجاجيل ويعيدها البعض الى الفترة نفسها .

في الحقيقة تم العثور على أعداد كبيرة من المدافن الركامية في عشرات المواقع في المنطقة الشمالية الغربية للجزيرة العربية بما في ذلك فلسطين والاردن (شكل ٤) . ومن الواضح تماماً ان هذه المنطقة بأكملها شهدت تغيراً حاسماً مع نهاية الالف الثالث ق.م ، وهذه الفترة نفسها التي تنسب اليها مجموعات المدافن الركامية (Cairn tombs) . وقد شمل هذا التغير جميع مناحي الحياة بما في ذلك تدمير المدن التي كانت سائدة

طوال الالف الثالث ق.م تقريبا ، واصبحت معلوماتنا عن هذه الفترة محصورة بما تكشفه الحفريات عن المدافن وبعض المخلفات السكنية التي عثر عليها في مواقع اشبه بالمواقع الموسمية أو غير الدائمة .

يطول النقاش حول ماهية المدافن الركامية في بلاد الشام وشمال غرب الجزيرة العربية ، ولكن يجمع الباحثون على أنها تعود لأواخر الالف الثالث ومستهل الالف الثاني ق.م لتشكل الشاهد الرئيس على المرحلة الانتقالية بين العصرين البرونزي القديم والمتوسط ، اذ أن المواقع السكنية المعاصرة لهذه المدافن قليلة جداً . غالباً ما كان اصحاب هذه المدافن من جماعات أشبه بالرحّل يعيشون في معسكرات او مواقع زراعية رعويه بسيطة للغاية .

لم تكن هذه المرحلة الانتقالية المشار اليها لتقتصر على شمالي الجزيرة العربية وجنوبي بلاد الشام وانما شملت معظم مناطق الشرق القديم بما في ذلك مصر وبلاد ما بين النهرين والخليج العربي . كما يطول النقاش حول التعبية الاثنية لسكان هذه المرحلة والمصادر التاريخية التي تزامنها وهناك اعتقاد بأن المجموعات القبلية وراء التحول هي نفسها التي ترد في سجلات السومريين والبابليين القدماء وعرفوا في السومرية باسم «مرتو» (Martu) وفي البابلية القديمة باسم «امورو» (Amurru) وتعني «الغرب» ، وهم بلا شك ساميّون في لغتهم واسمائهم وعاداتهم . كما ان لهم أصولاً رعوية ومارسوا حياة البداوة ، وكان لهم تأثير كبير على مناطق كثيرة من الشرق القديم بما في ذلك بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام وشمال الجزيرة العربية من حيث التطور الثقافي واللغوي والديني ، ومن الواضح ان البابليين القدماء هم ورثة الاموريين (Kenyon 1966) .

نشهد مثل هذا التغير الحاسم ايضا في عادات الدفن . بعد ان كانت المدافن الجماعية هي السائدة في العصر البرونزي القديم وكان الدفن يتم في بيوت أشبه بمنازل ومعابد العصر البرونزي القديم ، كما في باب الذراع في جنوبي الاردن كأوضح مثال على هذا النوع من المدافن ، اصبحت المدافن التي تليها زمنياً هي من النوع المعروف بالمدافن الركامية التي غالباً ما تضم افراداً بدلاً من

جماعات (ابراهيم ١٩٨٧) .

يتناسب تاريخ هذه المدافن الركامية مع ما يعرف بمرحلة اسين - لارسا في بلاد ما بين النهرين وايران ، وكذلك بداية مرحلة وادي السوق في عمان التي تبعت عصر مجان المبكر او عصر ام النار ، ومرحلة المدافن المترابطة او ما بعدها مباشرة في البحرين والمدافن الركامية في مناطق مختلفة من شرقي الجزيرة العربية .

مثل هذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها الا من خلال تغير ديموغرافي ، وغالباً ما ارتبط ذلك بهجرات من منطقة الخليج العربي باتجاهين رئيسين (انظر الخارطة - شكل٦) : الاول نحو الشمال الغربي عبر منطقة ما بين النهرين والثاني نحو الجنوب الغربي الذي يجب بحثه في اطار خارج عن هذا البحث ، خاصة وأن الاكتشافات التي توالت في السنوات الاخيرة تستحق إعادة تقييم مجمل المادة الحضارية في اطارها الواسع .

الاتجاه الاول يمكن تفسيره من خلال عادات دفن جديدة مستمدة أساساً من تقليد كان سائداً لفترة طويلة في منطقة الخليج العربي . كما ينسجم ذلك مع تراجع في عدد السكان وطبيعة المواقع السكنية مع نهاية الالف الثالث وبداية الالف الثاني ق.م في غالبية مناطق الخليج العربي ، وبشكل واضح خلال الفترة المعروفة بمرحلة وادي السوق في شبه الجزيرة العمانية .

بسبب الغموض الذي يكتنف نهاية العصر البرونزي القديم وماهية مكتشفات مرحلة الانتقال للعصر البرونزي المتوسط ، فقد اختلف العاملون في آثار جنوبي بلاد الشام في تحديد الاطار الثقافي لها واتباعها الى فترة زمنية محددة ، فبينما نسبها رايت (G.E. Wright) ورولاند ديفو (Roland de Vaux) الى مرحلة رابعة من العصر البرونزي القديم اتبعتها كاثلين كنيون الى مرحلة انتقالية ما بين العصرين البرونزي القديم والمتوسط ، (MB-Early Bronze - Middle Bronze=EB) .

اما روث اميران (R. Amiran) ووليم اولبرات (W. Albright) ووليم ديفر (William Dever) وغيرهم فقد اعتقدوا بأنها تمثل مرحلة مبكرة من العصر البرونزي القديم والمتوسط (MBI) ، ولجأ بول الاب (P.Lapp) عند دراسته لمقابر ظهر مرزبانه في وسط فلسطين الى

تقسيمها لمرحلتين ضمن المرحلة الانتقالية بين العصرين البرونزي القديم والمتوسط (Bronze I,II Intermediate) وقدم فيما بعد تعديلات على ضوء حفرياته في باب الذراع - بحيث اطلق على الجزء الأقدم من هذه المرحلة اصطلاح «العصر البرونزي القديم الرابع» EBIV والجزء المتأخر منها بداية العصر البرونزي المتوسط . ويجد القارئ ملخصاً نافعاً لهذه الآراء وما يتصل بها من آراء عند بول لاب (Lapp 1966) .

تتميز مدافن هذه المرحلة في أنها استعملت لأفراد بخلاف الأنواع الأخرى التي سبقتها من العصر البرونزي القديم ، وقد تم قطعها في الصخر أو الأرض الطبيعية ولها في العادة مدخل رأسي يتفرع عنه تجاويف او غرف جانبية ، ويكون المدخل ايضا من الجانب ، كما هو الحال في مدافن تل المتسلم بمرج ابن عامر . ولسهولة تمييز هذه المدافن فقد وضعوا فوق الفوهة كوماً من الحجارة او التراب وهذا ما يبرر تسميتها بالمدافن الركامية .

صنفت كاثلين كنيون المدافن التي عثرت عليها في أريحا (تل السلطان) إلى سبعة أنواع تبعاً لحجمها وطبيعة المكتشفات التي وجدت بداخلها كالأواني الفخارية والمعدنية والحلي ، وقادها هذا التصنيف الى الاعتقاد بأن اصحاب هذه المدافن يتبعون مجموعات قبلية من اصول واحدة . أما روث أميران فقد لجأت الى تقسيم الأواني الفخارية التي ظهرت في مثل هذه المدافن الى ثلاث عائلات او مجموعات تبعاً لتسلسل زمني وتوزيع جغرافي ، ولجأت الى ايجاد مقارنات وعلاقات مباشرة مع شمالي سوريا وبلاد ما بين النهرين .

تكاد تكون المرفقات الجنائزية بداخل المدافن الركامية متجانسة إلى حد كبير ، اذ غالباً ما يضم المدفن هيكلاً عظمياً واحداً بوضع قرفصائي اضافة إلى بعض أوانٍ فخارية وبعض الأسلحة والأدوات البرونزية وأنواع محددة من الخرز .

المراجع العربية :

إبراهيم ، معاويه

١٩٨٢ حفريات البعثة العربية في سار الجسر – البحرين .

إبراهيم ، معاويه

١٩٨٧ المسكن والمدفن في العالم العربي ، المنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم – تونس .

الانصاري ، عبدالرحمن

١٩٨١ « قرية » الفاو صورة للحضارة العربية قبل الاسلام – الرياض .

اجراهام ، مايكل وجونسون ، تيودور والريحاني ، بسيم والشتلة ، ابراهيم

١٩٨١ التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية : اطلال ١٩٨١ ، ص ٥٣ – ٧٦ .

كفافي ، زيدان

١٩٩٠ الاردن في العصور الحجرية – مؤسسة آل البيت – عمان .

المراجع الأجنبية :

Bar Yousef, O.

1981 "The Pre-Pottery Neolithic" Period on the Souther Levant. In J. Cauvin and P. Sanlaville (eds.) Prehistoire du Levant: 389-408. Paris, Editions du C.N.R.S.

Biagi, and Nisbet,

1989 Some Aspects of the 1982 - 1985 Excavations at the Aceramic Coastal Settlement of RH 5 at Qurm (Muscat - Sultanate of Oman). In P. Costa and P. Tosi (eds.) Oman Studies, Rome, 31-46 .

Bibby, G.

1973 Preliminary Survey in Eastern Arabia 1968, Copenhagen .

Burkholder,

1974 An Early Chalcolithic Site in the Eastern Province of Saudi Arabia, A Survey, American Journal of Archaeology 18 .

David, H.

1996 Styles and Evolution: Soft stone vessels during the Bronze Age in the Oman Peninsula. In Prodeedings of the Seminar for Arabian Studies, vol. 26: 31 - 46 .

Frifelt, K.

1970 "Jemdet Nasr Graves in the Oman", Kuml 1970: 355-383 .

Kenyon, K.

1966 Ammorites and Canaanites, British Academy, London .

Lapp, L.

1966 The Dhahr Mirzbaneh Tombs, New Haven .

Masry, H.

1974 Prehistory in Northeastern Arabia, the Problem of Interegional Interaction, Field Research Projects, Cococut Grove, Miami .

Nayeem, M.

1990 Saudi Arabia, Prehistory and Protohistory of the Arabian Peninsula, Hyderabad .

Potts, D.

1986 Eastern Arabia and the Oman Peninsula during the Late Fourth and Early Third Millennium B.C. In U. Finkbeiner and W. Rolling (eds.), Gamdat Nasr: Period or Regional Style?, Wiesbaden .

Potts, D.

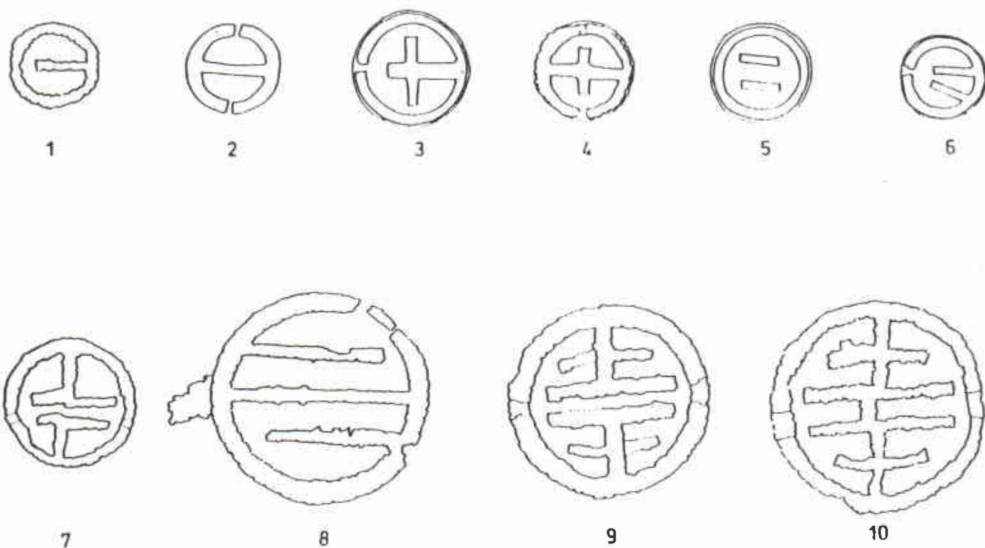
1990 The Arabian Gulf in Antiquity, Vol. 1, From Prehistory to the Fall of the Achaemenid Empire, Oxford .

Rice, M.

1994 The Archaeology of the Arabian Gulf, New York .



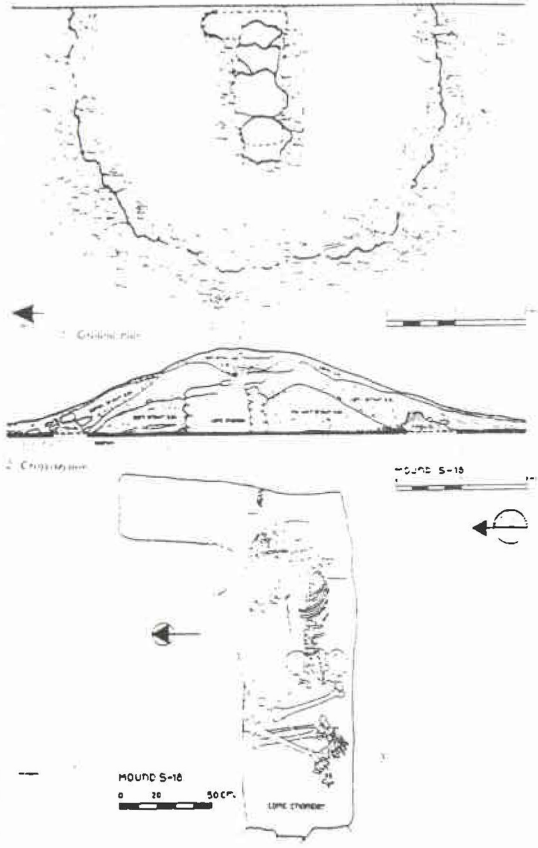
مدفن ركامي من حفيت (اقدم المدافن الركامية فى الخليج العربي)

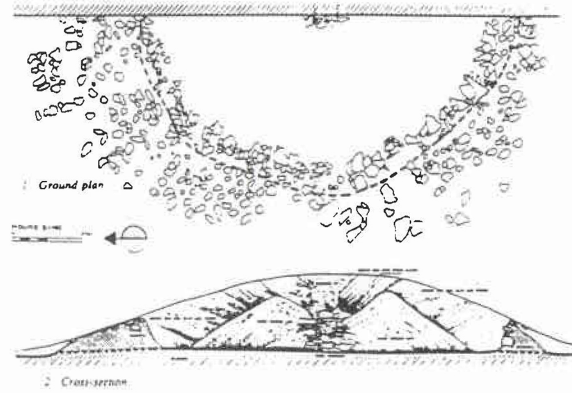


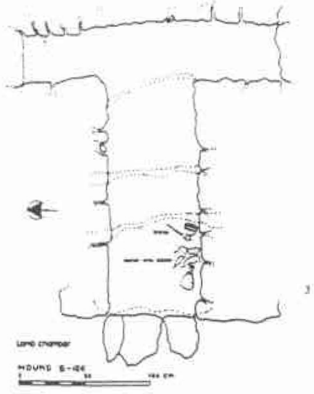
1، 4، 7، 9، 10 ام النار
2، 3، 5، 6 بات

انواع المدافن الركامية من الالف الثالث ق.م في شبه الجزيرة العمانية

شكل (١)



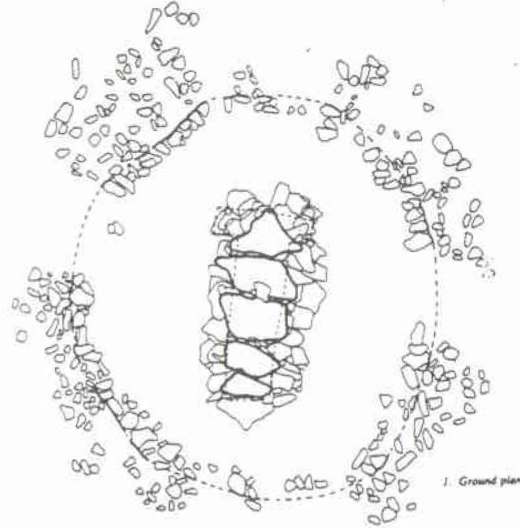


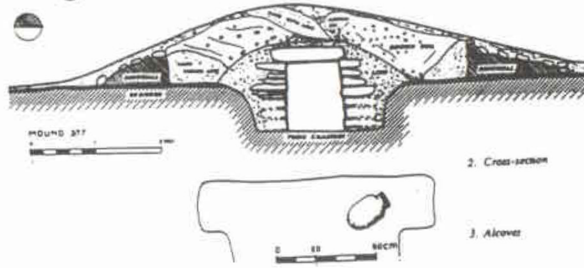


(After Ibrahim 1982)

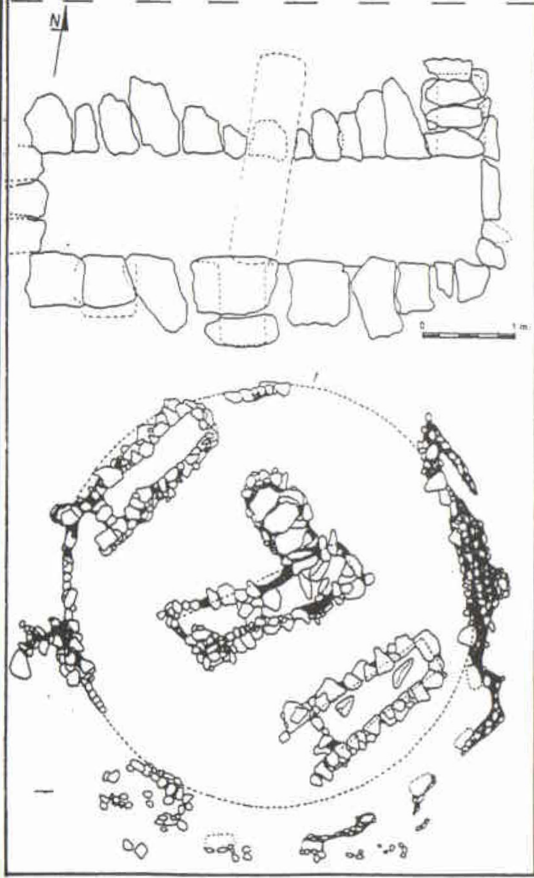
من تلال المدافن-سار-البحرين

شـــكل (٢)



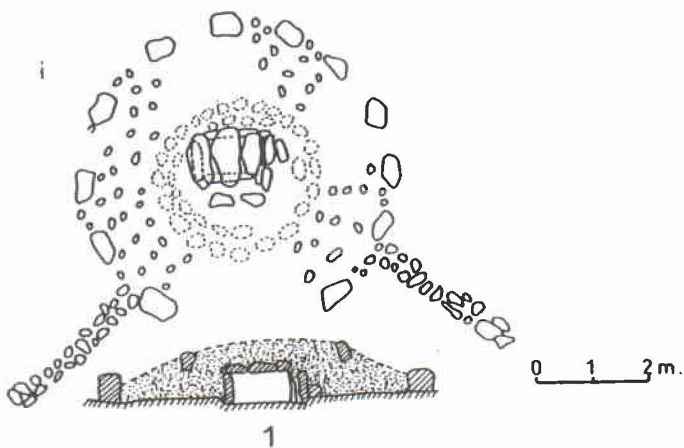


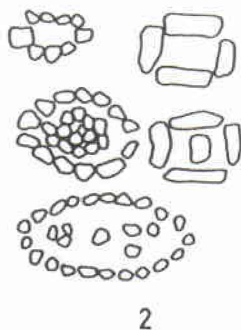
من تلال المدافن-سار-البحرين
(After Ibrahim 1982)



مدفن ركامى من الظهران
(After Frohlich & Mughannum 1985)

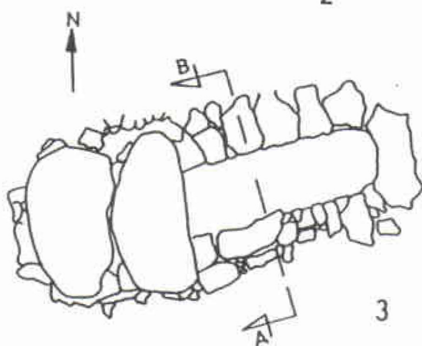
شـــكل (٣)

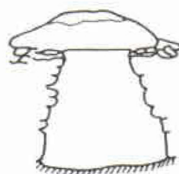




١ - ٢ قبور دائرية وبيضاوية من
العظمية شرقي البحر الميت

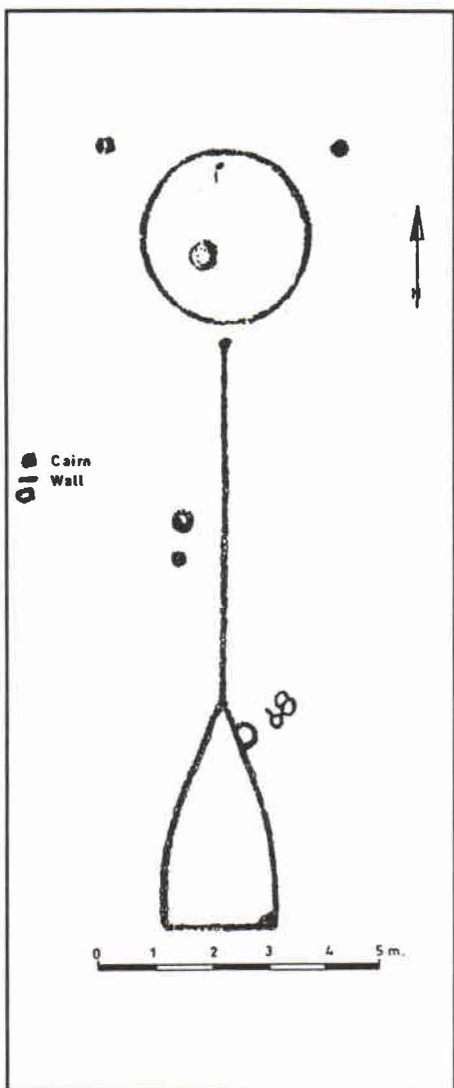
٣ - قبر مستطيل غائر فى الصخر
من طاوي - حوض الفرات
نهاية الألف الثالث ق.م

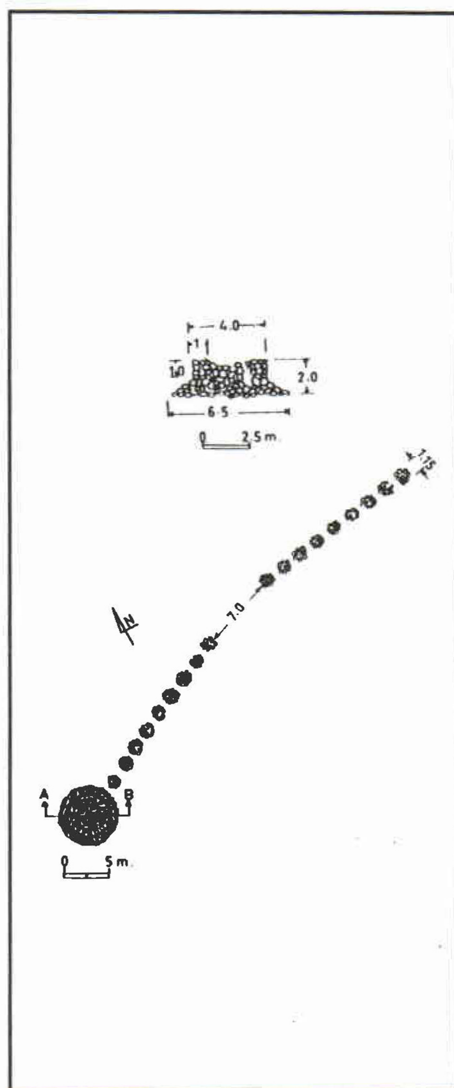




0 1 2 3 m.

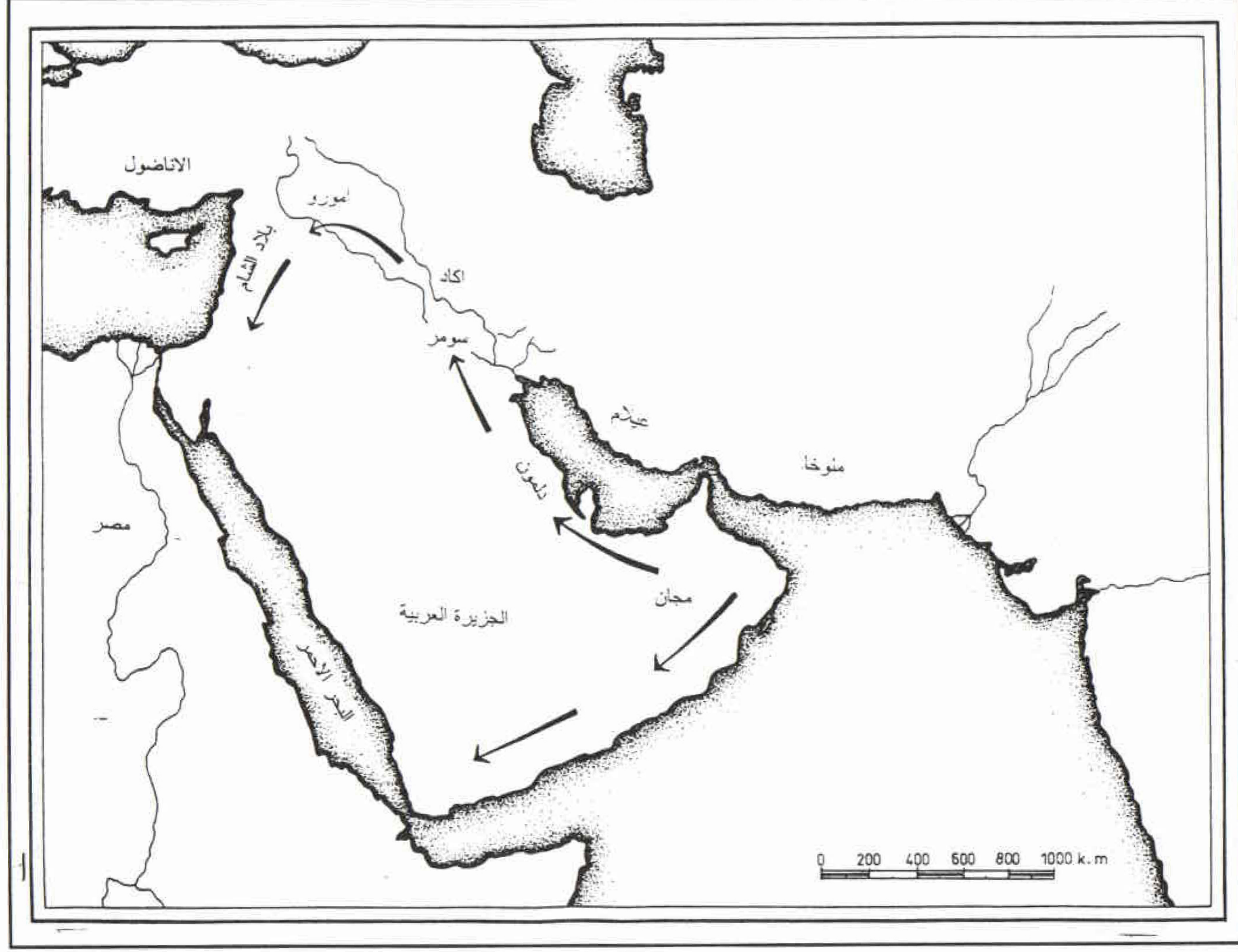
شـــكل (٤)





رجوم او مدافن ركامية يتصل بها ذيل - وادي السرحان (After Atlal 1981)

شـــكل (٥)



التحركات السكانية مع نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م

شكل (٦)

تعقيب مدير الندوة :

عـرض هذه الشـرائح سـوف تنعش الـذاكـرة حـيث كـمـا قلت سابقـاً عندما تجـري كميـات هائلة من الـتـنقـيـبـات في الشـمـال والشمال الغربي سوف نتذكر هذه المحـاضـرة والنمـاذج التـي عـرضت لنربط العلاقـة بين منطقة الخليج والشـمـال الغـربـي من الجـزيرة العـربية باعـتـبارها مـعـبراً لهـذه الحـضـارات الى بلاد الشـام وجنوب الأردن وفلسطين . وبالتالي جاء في ذهني أنه ما دام الألف الثـالث قبل الميلاد هو الألـفية التي كـان فيـها نشـاط بشـري في منطقـة الخليج ومن ثم فـي الجزيرة العـربية . ونحن نجد أن الانتـقال قد حـدث من شرق الجزيرة الى شمـالهـا وشمـالهـا الغربي فـهناك النظرية التي تقول ان الفـينيـقـيين جـاؤوا من شـرقـي الجزيرة . هـل هذا النشاط البـشري في تلك الفـترة كـان المنطلق الذي جعل الخليجيين ينتقلون من مكان إلى مكان آخر على البحر المتوسط ليـسـيطروا علـى البـحـرين . على الخليج في شـرقي الجزيرة العربيـة وعلى البـحـر المتـوسط في شمـال غرب الجـزيرة العربيـة ؟ سؤال يمكن أن نفكـر فيه ؟

النـظريـة التـي قـــالـهـــا "هيرودوت" . أن الفـينيقيين قـدموا من شـرقي الجـزيـرة . ربما كـان لهـا بعض من الواقع .

النقوش الصفوية أم النقوش العادية ؟

بحث في

حضارات الجزيرة العربية وعلاقات الشمال بالجنوب

أ.د. يوسف محمد عبدالله

أستاذ الآثار والنقوش - جامعة صنعاء - اليمن

يستفاد من دراسة النقوش القديمة التي عثر عليها في الجزيرة العربية أنها قد كتبت وفق نظام الأبجدية وعدد حروفها تسعة وعشرون حرفاً فهي لدى علماء اللغات القديمة أكمل الأبجديات السامية المعروفة ، وأقربها إلى ما يسمى باللغة الأصلي (Proto) كما أن الخط الذي كتبت به تلك النقوش يمثل كثيراً من خصائص الخطوط الأبجدية القديمة بل أنه يعكس بعض السمات الموغلة في القدم وعلى صلة قربى بالخط الفينيقي على أن وشائج القربى تلك لا تثبت بالضرورة إنتماءها إلى الخط الفينيقي ولا تكفي أيضاً لإثبات أقدمية واحد على آخر . إن خط المسند كما وصلنا يمثل مرحلة متقدمة من تطوره ولا نعرف الكثير عن مراحله الأولى .

إن هذا النوع من الكتابة هو الذي عثر عليه في بلاد اليمن والجزيرة العربية بل أحياناً في مناطق أخرى خارج الجزيرة . ويمكن أن تصنف خطوطها إلى فئتين : الأولى ، هي مجموعة الخطوط التذكارية المنسقة والمحسنّة التي يُعتنى بنقشها على الحجارة والصخور أو المعادن ولا ينفذها إلا كّتاب مهرة كما يتمثل ذلك في نقوش المسند السبئية . والثانية ، هي مجموعة الخطوط التي لا يعتنى بنقشها ، وفي كتابتها خفة وتكسير ، ويمكن أن ينقشها على الحجارة والصخور كل من تعلم قدراً من القراءة والكتابة ، ودون أي إتقان ، فهي أقرب ما تكون إلى المخربشات (grafitti) . وقد جرت العادة على تقسيم هذه الكتابات الليّنة إلى ثلاث مجموعات رئيسية هي : «النقوش الصفوية ومجموعة النقوش الثمودية ومجموعة

النقوش اللحيانية» . وقد يضيف بعضهم مجموعة النقوش التيمائية والديدانية والاحسائية . وغني عن القول أن ما يميز هذه المجموعات بعضها عن بعض ليس لهجتها أو مكان العثور عليها وهوية أصحابها ومحتوى كتاباتها فحسب ، وإنما إختلافات واضحة في رسم حروفها أيضاً ، كما أنها في الوقت نفسه قريبة الشبه من خط المسند التذكاري ، ولا تكاد تخالفه إلا قليلاً .

وتسمية كل من هذه المجموعات إصطلاحياً بالدرجة الأولى ، فالنقوش الصفوية تعود نسبتها إلى منطقة الصفا في جنوب سوريا ، حيث عثر في القرن الماضي على عدد هائل منها منقوشة بآلة حادة على حجارة بركانية مختلفة الأحجام.

ومنذ أن نشر بعضها سيريل جراهام قبل عام ١٨٥٧م (وقبل أن تُحل رموزها في مطلع القرن الحالي) ، نُشرت الآف منها (حوالي ٢٠٫٠٠٠) ، وما زال نشرُها يتوالى إلى اليوم، خاصة وأنه قد عُثر على مجموعات منها في شمال المملكة العربية السعودية ، وفي الأردن .

ويمكن تأريخ هذه النقوش عموماً بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الرابع بعد الميلاد . ومن أبرز من اهتم بنشر هذه النقوش في الغرب «ليتمان وهاردنج ووينت» وأخيراً ماكدونلد . أما بين العلماء العرب فالمهتمون قلة نخص بالذكر منهم «يوسف محمد عبدالله ، عبدالرحمن الذوئيب وفواز الخرايشة» ، وتعود تسمية النقوش إلى قوم ثمود الذين ارتبطوا بمدائن صالح والحجر في الحجاز ، وتعتبر الثمودية أكبر المجموعات الثلاثة عدداً وأكثرها إنتشاراً في الجزيرة ، ولم يقتصر العثور عليها على منطقة الحجر فقط ، ولذلك فإن فترة كتابتها غير مؤكدة وإن كان بعض العلماء يعيد تاريخها إلى فترة تقع بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثالث بعده ، إن لم يكن بعد ذلك أيضاً .

أما النقوش اللحيانية فتنسب إلى قبيلة لِحيان التي أقامت دولتها في مدينة ددان (العلا حالياً) شمال غرب المملكة العربية السعودية ، وقد قامت الدولة هذه في حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد على أثر إنحسار النفوذ المعيني عن المدينة ، ثم استمرت حتى القرن الثالث الميلادي على أن النقوش اللحيانية ليست كلها غير مجوّدة ، إذ هناك نقوش لحيانية

بارزة الحفر على الحجر ، أو غائرة الحفر نقشت بكل عناية ، ولا سيما على قواعد التماثيل ، فهي لذلك أقرب إلى النقوش التذكارية . ورغم أن خط هذه النقوش هو الأقرب بين الثلاثة خطوط إلى خط المسند التذكاري إلا أنه مع ذلك خط متميز قد يستحق أن يحمل تسمية خاصة به . ومن أبرز المشتغلين بهذه النقوش الدكتور/عبدالرحمن الأنصاري .

وإذا كانت هذه الكتابات غير المجوّدة بأنواعها هي كتابات عرب شمال جزيرة العرب إجمالاً ، وقد دونت بعربية قريبة الشبه بالعربية المحضة التي تجلت بعد ذلك في أروع صورها في لغة التنزيل، فان النقوش التذكارية المكتوبة بخط المسند قد كتبت إجمالاً بلغةٍ عربيةٍ عتيقةٍ يجوز أن نسميها باللغة السبئية . وتسمى في كتاب الأخبار والتاريخ بكلام حمير أو لسان حمير ، وهي لغة ميتة انقطعت هي وخطها عن الاستعمال قبل الإسلام . وقد عثر على معظم هذه النقوش في اليمن وعثر على عدد وافر منها في حفريات قرية الفاو وفي العلا . ويبلغ ما نشر منها الآلاف ، على تفاوت في الحجم : فمنها ما هو قصير لا يتجاوز بعض كلمات ، ومنها ما هو طويل قد يبلغ ألف كلمة أو أكثر . ولهذه النقوش التذكارية فضل كبير في صياغة الصورة التاريخية القديمة لبلاد اليمن خاصة والجزيرة العربية عامة . ويستدل مما يتوفر من هذه النقوش إن أقدم هذه النقوش يعود تاريخها إلى حوالي الألف الثامن قبل الميلاد . بل إن بعض الدراسات الأحدث ترجع تاريخها إلى أقدم من ذلك : وقد دام استخدامها زمناً يقارب الخمسة عشر قرناً : وتؤرِّخ أحدث تلك النقوش بحوالي منتصف القرن السادس الميلادي .

وفي السنوات الأخيرة عثر في اليمن على نوع جديد من الكتابات المنقوشة على عيدان الخشب أو عسب النخيل ، وتبين بعد حل رموزها ، وبعد دراسة نماذج من محتويات هذه النقوش أنها تعنى بالدرجة الأولى بالمراسلات والمعاملات اليومية ، أما من حيث خطها فهي مكتوبة بخط سريع مكسر مشتق من خط المسند التذكاري وبعض حروفه تشابه بعض حروف خطوط المخربشات السالفة الذكر مما يؤكد إشتقاقها أيضاً من خط المسند .

ومما يؤكد أن هذه الخطوط مشتقة

من خط المسند ، هو تطور خط المسند التذكاري ، عبر ما يقارب ألفاً وخمسمائة عام ، من حالة الحفر بالخط اليابس ذي الزوايا القائمة إلى حالة الحفر بالزوايا الحادة والزخرفة في المرحلة الوسطى ثم إلى حالة النقش البارز بدل الغائر في المرحلة المتأخرة ، بينما بقيت خطوط الكتابات الليّنة في الغالب على حالة واحدة، أما الكتابة على الخشب فهي تذليل للخط المسند اليابس ، ومضاف إليه زوائد تسهل سرعة الحركة وإمكانية الوصل بين الحروف تماماً كما هي الحال بين خط المطبعة الرسمي والخط المائل (Cursive) أو خط اليد السريع (Minuscule) .

ويلاحظ أن بعض النقوش الصفوية والثمودية واللحيانية تحوي قرائن دالة على تاريخها المتأخر عن بدايات الكتابة بخط المسند ومنها نقش مكتوب بالخط الثمودي والخط النبطي يعود تاريخه إلى حوالي ٢٦٧م .

وقد حاول بعضهم اعتبار خطوط الكتابات غير المجوّدة هي أصل خط المسند ، لأن خطوطها تطورت تدريجياً عن الرسوم الصخرية التي تمثل أشكالاً آدمية وحيوانية مبسطة ، كما أن بعضهم يرى أن خط النقوش العربية المبكرة الذي عرف في فجر الإسلام بخط الجزم وبه كتب القرآن الكريم مشتق من خط المسند التذكاري ، ولا يقرون تطور الخط العربي من الخط النبطي الذي تطور عن الخط الآرامي ، كما هو القول المرجح بين الدارسين ، غير أن الجهود العملية المبذولة التي تمثل أبرز المشتغلين في هذا المجال لا تجد الأدلة العلمية القاطعة بالحجة والتي تدعم هذه الأقوال ، بل قد تستبعدها لأسباب علمية ومنطقية منها : أن الرسوم الآدمية والحيوانية المشكلة على الصخور في بادية الجزيرة لا يمكن أن تكون البداية لاختراع علمي هائل كالكتابة . وإنما تومئُ الشواهد إلى أن إختراع الألفبائية لابد وأن يكون نتيجة تراكم معرفي طويل للمجتمعات الحضرية. وإذا ما سلّم المرءُ جدلاً بنظرية اختراع الأبجدية في البادية فأي بادية حدثت فيها البداية ، فالرسوم الصخرية منتشرة في كثير من بقاع الشرق القديم وغير الشرق القديم مدراً ووبراً وليس مقصوراً على بادية العرب .

ويستبعد الباحثون أيضاً الإشتقاق المباشر للخط العربي من خط المسند،

فلدى مقارنته بخط المسند المكسو المنقوش على الخشب والذي يحمل إمكانية وصل الحروف يتضح بعد الشقة بين أشكال حروف هذا الخط وأشكال حروف النقوش العربية المبكرة ، مثل خط نقش النمارة ونقش أم الجمال . وهذا لا يعني في نهاية الأمر أن المرء يستبعد الأصل المشترك للخطين في مراحل تطورات الخطوط الأولى بحيث يمكن اعتبار الخط الفنيقي أو خط المسند أو خط آخر غيرهما هو أصل تلك الخطوط جميعها ، غير أنه ينبغي رد الرواية التي ترجّع أصل الخط العربي المستعمل اليوم إلى المسند لأنها لا تتفق وحقائق علم تطور الخطوط ، إذ أن هذا الخط مأخوذ من مصدر آخر هو الخط النبطي . وتتضح العلاقة بين الخطين النبطي والعربي من خلال أشكال الحروف والطابع السريع للكتابة ، والالتباس القائم بين بعض الأحرف المختلفة وكذلك من خلال خاصية ربط الحروف . وقد نتج عن هذه السمات الأساسية للخط العربي أن أضحى من الضروري بعد أن انتشر استعماله أن تضاف إليه علامات الإعجام (النقط) توضيحاً للالتباس الذي تقتضيه تلك الخصائص الجرافيكية (الرسم) . وذلك بخلاف خط المسند الذي سبق أن عاصر تطور الخط العربي زمناً حتى نهاية القرن السادس الميلادي ، ثم توقف استعماله نهائياً بعد أن كان قد وصل إلى أرقى أشكاله .

وانطلاقاً من سمات خط المسند التذكاري التي تخالف سمات الخط العربي وتكاد تشبه سمات خطوط أخرى كاللاتيني، فإنه من غير المتوقع أن يؤدي أي تطور فيه مثل التكسير والخفة والليونة والسرعة إلى ضرورة استعمال وسيلة الإعجام ، كما هو ملاحظ اليوم في الكتابة اليدوية الموصولة بالخط اللاتيني المستعمل لدى الأوروبيين على اختلاف لغاتهم ، لأن خصائص رسم الخط اللاتيني أو المسند تخالف خصائص رسم الخط النبطي أساس الخط العربي ، والذي ينتج عن تليينه ووصل حروفه تشابهاً كثيراً بينها يؤدي إلى الالتباس بين عدد وافر من الحروف بل يذهب بعض الباحثين إلى أن أسلوب التمييز بين الحروف بالاعجام مأخوذ عن الخط النبطي الذي سبق وأن عرف شيئاً من ذلك بحكم طبيعة رسمه*.

* أنظر مثلاً نقش جوسن - سافيناك ١٧ (الأطلال ١٢ ص ١٠٢) .

وغني عن القول أن الأنباط كانوا يتكلمون بلهجة عربية وأنهم كانوا عرباً كما تشهد بذلك كتاباتهم التي عثر عليها في البترا ومدائن صالح .

إن هذه النقوش بنوعيها المجّود وغير المجود خطها وإن تخالف الناس عليها ، تعكس إجمالاً ملامح الصورة التاريخية للحياة العربية قبل الاسلام ، في إطار جزيرتهم شمالاً وجنوباً . وقد كان للعرب في جزيرتهم حياتان : حياة المدر ، وحياة الوبر ، حياة تقوم على الاستقرار والعمران وحياه تقوم على التنقل بحثاً عن الماء والكلأ ، على أنه كان بين الحياتين تواصل مستديم ، تربطهما طرق التجارة والواحات المنتشرة التي تتوفر فيها شروط ملائمة لإقامة بعض النشاط الزراعي أو مياه كافية وموقع مناسب لتكون محطات على طرق القوافل وهي تقطع القفار والنجود ، شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وبالعكس ، فمن خلال النقوش السبئية يستطيع الباحث أن يستنبط معالم تاريخ الحياة الحضرية في جنوب جزيرة العرب وبدراسة النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية وما شابهها ، يمكن للمرء التعرف على الصورة التاريخية للحياة البدوية وشبه البدوية في وسط الجزيرة وشمالها .

وقد دلت هذه النقوش إجمالاً على تلك الأقوام العريقة التي عاشت في جزيرة العرب قبل الإسلام ، فعرفنا منها الكثير ، عن السبئيين والحميريين والمعينيين والقتبانيين والحضرميين ، في مراكز الحضارة من جنوب الجزيرة العربية ، وعرفنا أيضاً معلومات كثيرة عن عدد من الأقوام العربيّة الأخرى التي عاشت في وسط الجزيرة وشمالها ، مثل الثموديين واللحيانيين و «الصفويين» من خلال النقوش التي كتبوا بها والقرائن التاريخية المتواترة الأخرى التي دلت عليها أو عززت ما ذكرته النقوش عنها .

وفي إطار هذه الندوة التي تتناول الحضارات القديمة في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية وعلاقة الشمال والجنوب كما تعكسه الآثار والنقوش ، سأحاول أن أناقش مسألة هامة طالما أرقتني خلال اشتغالي بنقوش هذه الجزيرة ، ألا وهي تسمية فئة من تلك النقوش الشمالية التي وسمت بالنقوش الصفوية . فأصحابها بالتأكيد ليسوا بالصفويين أو الصفائيين ؛ إذ أن مصطلح الصفويين كان قد اقترحه

الأستاذ (دي فوجه) ، الذي نشر أول قائمة من تلك النصوص حوالي (١٨٧٧) ، إستناداً إلى فكرة بسيطة وهي أن هناك نصاً إغريقياً يشير إلى أن الإقليم الذي عثر فيه على تلك النقوش كان يطلق عليه اسم صفائن **Safathene** ، وأنه إلى اليوم ما زال يطلق على العرب الذين يعيشون حول الصفا اسم «عرب الصفا» (ديسو ٢٦-٢٧) ، حيث اعتبرت حرة الصّفا هي الموطن الحقيقي للصفويين ؛ إذ نجد فيها النقوش الصفوية بكثرة ، وبسبب الحياة المتنقلة التي كان يحياها أهل الصفا . فقد أمكن العثور على النصوص الصفوية غرباً حتى أطراف الحدود الحضرية وشرقاً حتى الأرض الجيرية في الحماد ، وشمالاً حتى جبل «سيس» في قلب الشام ، وتمتد أماكنها جنوباً حتى قلعة الأزرق (م.ن٥٦) أي على امتداد خط الحصون التي كانت تحمي الثغور في الفترة الرومانية وما بعدها .

على أن مجال النقوش الصفوية قد تجاوز هذا التحديد حينذاك نتيجة الاكتشافات الجديدة في العقود الأخيرة ، حيث عثر على نقوش صفوية في أماكن أخرى غير جنوب سوريا ، وخاصة شمال شرق الأردن ، وشمال المملكة العربية السعودية (ماكدونالد الخارطة اللغوية ص١٢) ، ولذلك فإن التسمية لأصحاب هذه النقوش بالصفويين أو بعرب الصفا أو ما أشبه ذلك إنما هي تسمية اصطلاحية ، لا تدل على أصحاب تلك النقوش ولا على أرضهم كلها أو مجالات انتشارهم كاملة .

ومنذ بداية اشتغالي بالنقوش الصفوية في أواخر الستينات وأنا لا أحبذ التسمية تلك ولا أجد لها مسوِّغاً كافياً . وكان الدكتور / محمود الغول رحمه الله يشاطرني هذا الرأي ، وعندما درست «مجموعة جامعة الرياض من النقوش الصفوية» أبديت على استحياء رأياً يعترض على التسمية السائدة ، ويقترح إسماً جديداً ، وهو «النقوش العاديَّة» . ولكني لم أفصل الأمر حينها ، واكتفيت بالإشارة إلى أن ضمن تلك المجموعة ثلاثة شواهد تشير إلى أن الصفويين ربما كانوا في الحقيقة عاداً أو بعض عاد (ص٩) .

وفي عام ١٩٧٩م أعدت نشر نقشين من تلك المجموعة* ، ولدى مناقشة اللفظ وَجْم في أحدهما حاولت أن أعزِّز الرأي

* مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، عدد ٢ ص ٦١-٧٨ (١٩٧٩) .

السابق ببعض القرائن الأخرى ولكنها لم تكن كافية وبقيت أبحث عن قرائن أخرى .

وسأحاول اليوم من جديد تقديم الرأي نفسه بتفصيل أكثر ، وربما بأدلة وقرائن أخرى ، إذ أن مناقشة التسمية المذكورة واستبدالها بتسمية أخرى ليست من باب الترف اللغوي والمماحكة الفكرية ، وإنما الهدف منها محاولة تسليط الضوء على مسألة تاريخية هامة من تاريخ أمتنا وهي ؛ من هم أصحاب هذه النقوش حقاً ؟ وهل هم بعض الأقوام العربية التي ذكرها القرآن الكريم وشاعت أخبارهم في تراثنا؟ ولماذا لا يكون أصحاب هذه النقوش الصفوية في حقيقة الأمر قوم عاد أو بعضاً منهم ؟ وهي أقوام عربية حار المؤرِّخون في هويتها ومكانها ، وطفقوا يلتمسون آثارها في كل بقاع الجزيرة شمالاً وجنوباً ، ولا سيما في الفلوات والأرض اليباب .

وفيما يلي ما اهتديت إليه من مسوِّغات أرى أنها تصلح أساساً لافتراض التسمية : «النقوش العادية» ، أو نقوش قوم عاد بدلاً من التسمية السائدة أي «النقوش الصفوية» أو الصفائية ، وبالتالي إثارة اهتمام الباحثين بمواصلة الدراسة فيما أغفل من تاريخنا القديم وخاصة الأثريين منهم ، ولا أظن أن البحث الأثري ما زال قاصراً في البقاع التي عثر فيها على هذه النقوش :-

١. جاء اسم عاد مقترناً باسم ثمود في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، كقوله تعالى : وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم (العنكبوت ٣٨) ، أو قوله تعالى : وعاداً وثمود وأصحاب الرس (الفرقان ٣٨) ، وقوله تعالى : فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمود (فصلت ١٣) ، ولقوله تعالى : وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى (النجم ٥٠ ، ٥١) ، وقوله تعالى : كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (الحاقة ٤-٦) ، وقوله تعالى : ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم (ابراهيم ٩) ، وقوله تعالى : وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (الحج ٤٢) ، وقوله تعالى : ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (الفجر ٦-٩) .

وهذا الاقتران المتكرر قد يوحي بالتقارب زمنياً ومكانياً . ويذكر معظم الرواة والمؤرخين أن ديار ثمود كانت بالحجر وهي قرية بوادي القُرى وفيما يجاوره . قال المسعودي : وكان ملك ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي وديارهم بفج الناقة ، وبيوتهم إلى وقتنا هذا أبنية منحوتة في الجبال ورسومهم باقية وآثارهم بادية وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى ... (مروج الذهب ٤٢/٢) . فإذا كانت الحجر وما والاها هي مواطن ثمود ، يتوقع أن تكون ديار عاد على مقربة من هذه المواضع (جواد على ٣٢٥/١) .

ويظهر من جغرافية بطليموس أن ديار قوم ثمود في شمال غربي «العربية السعيدة» أي في المواضع التي عينتها المصادر العربية . وإذا ما صح القول أن Oaditae في جغرافية بطليموس هي ديار عاد (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة عاد) وليس بينها وبين ديار ثمود سوى ديار Sarakeni وكلتيهما في أعالي الحجاز ، في المنطقة الجبلية التي تخترقها الطرق التجارية التي توصل بين الشام ومصر بالحجاز واليمن ، فإن ذلك تأييد للروايات العربية القائلة بأن ديار ثمود كانت على مقربة من ديار عاد (جواد علي ٣٢٥/١) وأنظر (شبرنجر ص١٩٩) .

٢. ان «عاداً وثمود في عرف أكثر الاخباريين من العرب البائدة واعتبروهما من نسل أرم بن سام بن نوح . فبنو عاد من عُوص بن إرَم وبنو ثمود من جاثر بن (عاثر) أو عابر (مروج الذهب ٤٠) و (نشوة الطرب ٤٦/١) . وارم هو شقيق (لاوذ) في التوراة (لود) وأبوهما هو سام بن نوح (سفر التكوين ١٠) . ويقول الطبري : «فأما أهل التوراة ، فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا لثمود ولا لهود وصالح في التوراة وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة ابراهيم وقومه» .

والواقع أن التوراة لا علم لها فيهم ، فأحاديث عاد وثمود وهود وصالح إنما هي أحاديث عربية تحدث بها الجاهليون وذكرها القرآن الكريم وليس لها ذكر في كتب اليهود ، ومع ذلك فإن أهل الأخبار ربطوا بينها وبين التوراة ، وأوجدوا لها صلةً ونسباً بأسماء أعيان وردت في التوراة (جواد علي ٢٩٩/١-٣٠٠) . وفي

الحالين يستفاد من الأخبار أن قوم عاد وقوم ثمود من العرب البائدة وأنهما متقاربان في النسب والمكان والزمان على اختلاف في الروايات .

٣. يظهر من قوله تعالى : «وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم» أن ديارهم كانت معروفة ، وقد أشرنا إلى مواضع ثمود استناداً إلى الآيات القرآنية التي تذكر أصحاب الحِجر ، وترجيح أهل الأخبار لمواطنهم في مناطق الحجر ومدائن صالح وفي أعالي الحجاز ، أما موطن قوم عاد فمحل خلاف بين المؤرخين والمفسرين ، وإن كانوا مجمعين على أن الأحقاف هي موطن عاد (عاد في التاريخ ٣٤) وذلك بدليل قوله تعالى : «واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف» . على أنهم لا يجمعون على أن الأحقاف التي وردت في الآية تقع في جنوب جزيرة العرب قال المسعودي وغيره : «فحلَّ عاد بن عُوص وولده الأحقاف من بلاد حضرموت (مروج الذهب ، معجم البلدان) وقالوا فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر ، وقالوا : الأحقاف رمل بين عمان إلى حضرموت . والأحقاف رمل مشرف على البحر بالشحر من أرض اليمن (أنظر عاد في التاريخ ٢٨-٣٥) ولكنهم قالوا أيضاً : إن الأحقاف رمل ولكن القرآن الكريم لم يعين موضعه وإنما عينه المفسرون والأخباريون (جواد علي ، ج١/٣٠٥) . وقالوا : كانت عاد ثلاث عشرة قبيلة ينزلون الرمل وبلادهم أخصب البلاد ، وكَثرتهم ديارهم بالجَوّ والدهناء وعالج (النفود) ويبرين ووَبار إلى عمان إلى حضرموت واليمن (المعارف لابن قتيبة ، عن عاد في التاريخ ٣٣) . وقال القرطبي المفسر : كانت عاد ينزلون الرمل رمل عالج ، وكانت فيما يروى بنواحي حضرموت إلى اليمن . (عاد في التاريخ ٢٩) . ولم يجمعوا على أن الأحقاف رمل ، كما نقل صاحب معجم البلدان ، ان «الأحقاف جبل بالشام» (١/١١٥) .

وأكثر الأخباريين اندفعوا يلتمسون مواضع عاد في الصحاري ، لأنها أنسب المواضع التي تلائم مفهوم الأحقاف ، فوضعوا من أجل ذلك قصصاً كثيرة في البحث عن مواطن عاد وقبور عاد... (جواد علي عن المعارف ١/٣٠٥) ، وفي اللغة الحقف : المعوج من الرمل (ديوان الأدب ١/١٨٩) ، وجمعه حِقاف (م.ن ١/٤٦٣) ،

وأحقاف وحُقُوف وحِقَفة . والحِقف : أصل الرمل وأصل الجبل وأصل الحائط ... وقد احقوقف الرمل إذا طال واعوج ... وقالوا : الأحقاف في القرآن جبل محيط بالدنيا ... وفي بعض التفسير في قوله «بالأحقاف» أي بالأرض قال : وهو المعروف من كلام العرب الأول (اللسان / حقف) والحَقف والحُقف : في لهجات اليمن اليوم أخاديد في الصخور ، أو تجاويف في جانب الجبل أو في الصخور (معجم PIAMENTA) . وبَرّ الأحقاف عند البدو وهي تلك الجبال الواقعة خلف ساحل ظفار والتي تمتد غرباً باتجاه عدن ، أي أن الأحقاف عندهم هي جبال* .

ويقول السيد علوي بن طاهر الحداد: والمراد بالأحقاف جبال الرمل الموجودة في الرمل المعروف بالبحر السافي في شمال حضرموت . (عاد في التاريخ ٣٣) ويبدو أن الأحقاف هي صحراء ولكنها ليست رملاً وانما صحراء والصحاري أنوا ع منها صحاري رمليه و(ترابية) وصحاري حصوية وصحاري صخرية أو جبلية .

وفي جنوب جزيرة العرب (في اليمن) أرض الأحقاف ، وهي تلك الصحراء اليابسة الجبلية التي تمتد بموازاة ساحل الشحر حتى عمان ويخترقها وادي حضرموت أو وادي الأحقاف . وهي هضبة أو جبال جيرية يابسة لاشئ فيها ، تستطيل وتتقوس كأنها كثبان رملية . ويستفاد من كتب الجغرافيا الحديثة أن في شمال الجزيرة تمتد هضبة جيرية أخرى غير تلك في الجنوب وذلك ما بين مرتفعات شرق الأردن وفلاة الحماد باتجاه الطرف الغربي لمنخفضات بلاد ما بين النهرين ، لتشمل منطقة الحرة في سوريا بموازاة خط الإنكسار الشرقي لوادي السرحان باتجاه الجنوب بحيث تغطي هذه الهضبة الجيرية مساحات شاسعة من شمال أراضي المملكة العربية السعودية حتى حوض صحراء النفوذ الكبير (SAUDI ARABIAN, 71-73) .

ويشكل هذا النطاق المكاني الكبير بهضابه وحراته ووديانه هضبة جيرية متجانسة تضم مساحات شاسعة من بادية الشام وشمال المملكة العربية السعودية ، تشبه إلى حد كبير النطاق المكاني

* دائرة المعارف الإسلامية : E I, 1 P. 275 (أحقاف) .

المتجانس الذي تشكله في جنوب الجزيرة العربية هضاب حضرموت المعروفة بالأحقاف . وإذا كان منخفض وادي الأحقاف يشكل ظاهرة جغرافية وجيولوجية بارزة في الهضبة الجيرية الجنوبية فإن وادي السرحان يشكل ما يشبه الظاهرة نفسها في الهضبة الجيرية الشمالية . ويبلغ معدل إرتفاع الهضبة الجيرية الشمالية حوالي ١٠٠٠ متر بينما قد يصل أقصى إرتفاع الهضبة الجنوبية إلى ١٥٠٠ متر . ويجوز في علوم الأرض أن نطلق على هاتين المنطقتين وصف الجبال بمعنى أنها أراض صخرية مرتفعة عن سطح البحر ، وفي الوقت نفسه هي فلوات ولكنها غير رملية ، وإنما ما يمكن أن نسميه بالصحاري الصخرية .

وإذا ما أخذ المرء في الإعتبار قول بعض الإخباريين أن مساكن عُوص بن إرم الذي تنتمي إليه قبيلة عاد ينبغي أن تكون في تخوم الغربية الشمالية أو منطقة حوران (خارطة بطليموس في كتاب شبرنجر ، وراجع جواد علي ٢٩٧/١ ، ٣٢٧) أي مناطق شمال المملكة حالياً ، بما فيها عَرعَر والجوف ووادي السرحان الواقعة شمال صحراء النفوذ ، وما يجاور تلك المناطق في الحرات والحماد من بادية الشام . فإن تلك الهضبة الجيرية التي تشكل هذا النطاق المكاني الكبير والتي تشبه نظيرتها في جنوب الجزيرة ، يمكن أن يطلق عليها أيضاً أرض الأحقاف أو جبال الأحقاف أو فلاة الأحقاف* . وقد علمنا أن من أهل الأخبار من ذكر أن الأحقاف جبل بالشام (معجم البلدان/ أحقاف) . وهو قول يذكرنا أيضاً بجبل الصفا والحرات حوله .. وفي مادة (جش ارم) من المصدر نفسه ، أن إرم جبل عند أجا أحد جبلي طيئ في ذروته مساكن لعاد وإرم (أو عاد إرم) فيه صور منحوته من الصخر . والشاهد هنا كون الجبل من مساكن عاد . وقد أشرنا إلى أن بعض العلماء يرجح أن منطقة **Oaditae** في جغرافية بطليموس هي منطقة قوم عاد (دائرة المعارف الإسلامية/عاد ، شبرنجر ص١٩٩) أي تلك التي في أعالي الحجاز (وغير بعيدة كثيراً ، نسبياً من ديار ثمود)، وفي المنطقة الجبلية التي يخترقها

---

* وهي تقريبا نفس المنطقة التي سكنتها قبيلة كلب قبل الإسلام : قال الشاعر :

وكلب لها خبتَ فرملة عالج — إلى الحرة الرجلاء حيث تحارب (الصفحة ٣٦٨)

الطريق التجاري الذي يوصل الشام ومصر بالحجاز واليمن حيث بئر ارم بِحِسْمى وهي من مناهل العرب (الصفحة ٢٧٢) .

والمعلوم أن إنتشار النقوش الصفوية يتبع غرباً أطراف الحدود الحضرية ، وتتوقف شرقاً في الحماد . ويمتد شمالاً إلى جبل (سيس) وجنوباً إلى شمال المملكة مثل عرعر وبَدَنة ؛ مما يجعل حد هذه النقوش هو حد الهضبة الجيرية الشمالية ، أو في إطار أرض الأحقاف الشمالية ، إذا صح التعبير .

٤. تحوي النقوش الصفوية إشارات دالة توافق ما تذكره كتب اللغة وأهل الأخبار من ملامح قوم عاد ؛ إذ يستفاد من محتوى هذه النقوش أن الصفويين كانوا بدواً أو شبه بدو . وخير دليل على ذلك هو ذكر المضارب ثم تكرار رسوم الجمل على الصخور وأنه كان لهم عادات مثل قصّ الأثر والتشوق إلى الخلان ووضع الحجر على القبور والبكاء على الأطلال ، وكلها تذكرنا بالصور الشائعة في الشعر الجاهلي بعد ذلك .

كما أنهم كغيرهم من البدو يتنقلون بحثاً عن الماء والكلأ وينتشرون على مساحات شاسعة ويعكسون حالهم تلك في نقوشهم . وقد عرفنا أنهم كانوا منتشرين في حيز مكاني واسع بين حرات الشام وأطراف مناطق الجوف في شمال المملكة .

وهم في بعض هذه السمات والعادات ، قد يشتركون فيها مع غيرهم من القبائل البدوية في الجزيرة إلا أنهم قد يختصون ببعضها بحسب روايات أهل الأخبار التي تتوافق مع إشارات في نقوشهم كقول الشاعر مثلاً :

نَفَرت قَلُوصي من حجارة حرّة
وُضعت على طَلْق اليدين وَهُوب

والبيت كما يُفهم منه يشير إلى عادة وضع الحجارة على قبور الكرماء أو من أجلهم .

ولكن بعضهم ينسب عادة وضع الحجر إلى قوم عاد كقول رؤبة ابن العجاج (١٤٥هـ) :

وهامة كالصَّمْد بين الأصماد
أو وُجُم العادي بين الأجماد

وفي اللغة : الوَجم حجارة مركومة بعضها فوق بعض على رؤوس القُور والآكام .. وتذكر أنها من صنعة عاد . (اللسان / وجم) . والوجم واحد الأوجام وهي علامات وأبنية يُهتدى بها في

الصحاري (المصدر نفسه) . ومعنى الشيء المركوم ما زال حياً في لفظة يمانية دارجة حيث يقال مثلاً : وجَّمَ (بالتضعيف) سيقان الذرة بعد الحصاد أي راكمها لِتكوِّن ركاماً من القصب يسمونه (مِيجام) .

ويتكرر في النقوش الصفوية الفعل وجم كأن تكون صيغة النقش ، فلان بن فلان ووجم على أخيه .

ويرجِّح الدارسون أن معنى الفعل هو وضَعَ حجراً أو حجارة على قبر ، وتستبعد القرائن المعنى الشائع لِلّفظ أي حزن ، اذ يبدو أن وراء الفعل طقس من الطقوس القديمة . والحَجَر وإستخداماته الدينية مما يميز وثنية عرب الجاهلية إذ كانوا يستخدمونها نُصْباً والجمع أنصاب. وكانوا يعبدون الأوثان ويرمزون بها إلى معبوداتهم (فلها وزن ١٠١ – ١٠٢) . جاء في (معجم الآلهة) : «كان العرب في القديم يضعون على القبر كومة من الحجارة ثم يأتي آخرون بعدهم ويفعلون الشيء نفسه ويدعون ذلك (الوجم) كما هو معلومات في النقوش الصفوية» .

وذكروا أن الوجم هي أعلام تنصب في المفاوز يُهتدى بها .. وكان من عادة الجاهلية إذا وجدوا شيئاً في طريقهم لا يمكنهم استصحابه تركوا عليه حجارة يعرفونه بها حتى إذا عادوا أخذوه (التاج مادة ارم) .

ومهما كانت الغاية من وضع أحجار مركومة وإختلاف التفسيرات المروية ، فإن ذلك يوافق تلك العادة التي تذكرها النقوش الصفوية . كما أن قولهم أنها من صنعة قوم عاد إشارة هامة تعزز الرأي الذي يرى أن مَنْ نسميهم الصفويين ليسوا إلا قوم عاد أو بعض قوم عاد .

ومن عادات قوم عاد وضع الأرجام . والرِّجام جمع رَجَم وهي الحجارة المجتمعة كالحجارة العادية .. والرجَّم هو القبر نفسه ، والحجارة التي تنصب على القبر .. وقالوا الرُّجمة : مجموعة كأنها قبور عاد . قال لبيد :

عَفَتِ الديارُ محلَها فمقامها
بمنى تأبّد غولها فَرِجامُها والرَّجَم

والرجام : الحجارة المجموعة على القبور (اللسان مادة رجم) ، واللفظ نفسه يتكرر في النقوش الصفوية بصيغة : هرجم والهاء أداة التعريف أي الرجم . وتكون صيغة النقش عادة هكذا : لفلان بن فلان وبني على فلان هرجم (المجموعة ١٢أ ، هاردنج HCB,1) .

والإرَم في اللغة : حجارة تنصب علماً في المفازة والجمع آرام وأُروم .. وخص بعضهم به أعلام عاد .. وقيل : هي قبور عاد (اللسان/ارم) . وأهل الأخبار ينسبون عاد إلى إرم . وفي التنزيل : ألَم تَرَ كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد» . ومن ترك صرف إرم جعله إسماً للقبيلة . وقيل إرم عاد الأخيرة ، وقيل إرم لبلدتهم التي كانوا فيها (اللسان/ارم) . وذهب بعض المفسرين إلى أن «ارم ذات العماد» على الإضافة ، وذات العماد وصف بمعنى أعمدة الخيام . وقد اختلف من فسرها بمعنى المدينة المفقودة ، فقيل أنها في تيه أبين بين عدن وحضرموت وذهب آخرون إلى أنها دمشق ، بل قيل أنها الإسكندرية (جواد علي ١/٣٠٢-٣٠٣) .

وجاء في معجم البلدان : ثم اختلف فيها ، من جعلها مدينة ، فمنهم من قال : هي أرض كانت واندرست فهي لا تعرف ، ومنهم من قال : هي الإسكندرية ، وأكثرهم يقولون هي دمشق ، وكذلك قال شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير :

لولا التي علِقتني من علائقها
لم تُمْس لي إرَمُ داراً ولا وطناً

قالوا : أراد دمشق ، وإياها أراد البحتري بقوله :

إلى إرم ذات العماد وإنها
لموضع قصدي ، موُجفاً ، وتَعَمُّدي

(مادة ارم ج١ ص١٥٥) .

ثم أورد قصة المدينة المفقودة بالتفصيل وختمها بقوله : قلت : هذه القصة مما قدمنا ، البراءة من صحتها . وَظنناُّ أنها من أخبار القصاص المنمقة وأوضاعها المزوقة (١٥٧) .

٥. يستفاد من الأخبار كما سلف القول أن قوم عاد وثمود من العرب البائدة ، وأنهما متقاربان في النسب والمكان ، بل أن بعضهم يذكر أنهما متقاربان أيضاً في الزمان . ففي تواريخ الأمم : إن الله بعث لهم (أي لثمود) صالحاً حين بعث هوداً إلى عاد (نشوة الطرب ١/٤٧) . وفي مروج الذهب : إن الله بعثه (أي صالح) إلى ثمود .. وعلى فترة بينه وبين هود المبعوث إلى عاد ، وتلك الفترة نحو مائة سنة (م.ن ١/٤٧) .

على أن المصادر النقشية الآشورية تذكر ثمودَ من القرن الثامن قبل الميلاد ، والمصادر الكلاسيكية تذكر أن من مساكن ثمود (دوماتا) و (هجرا) وقد رجّح العلماء أن المقصود هي دومة الجندل والحِجْر .

أما النقوش التي تنسب إلى قوم ثمود فيرجح العلماء أنها متفاوته القدم ويصعب تحديد تواريخها ، خاصة وانها يمكن أن تصنف إلى نوعين : النقوش الثمودية الشمالية ، والنقوش الثمودية الجنوبية (فون فيسمان – تاريخ سبأ ١ ص٤٦) .

إن النقوش الثمودية الجنوبية والتي عثر عليها في جنوب غرب المملكة واليمن تختلف نوعاً ما عن النقوش الثمودية الشمالية والتي اصطلح على تسميتها بالنقوش الثمودية ، وعثر عليها في حائل وتيماء والعلا والجوف وتبوك ومدين ومدائن صالح .

ومما يزيد في صعوبة تصنيف وتاريخ هذه المجموعات النقشية رغم بعض الفوارق المكانية والزمنية كونها تتبع جميعها دائرة ثقافية واحدة ، وتجمع بينها لغة واحدة ، وخط واحد ، وعناصر ثقافية واحدة ، سواء من ناحية الفن أو العمران أو الدين . (نيلسن ٥٢) . وإذا ما تجاوز المرء إصرار علماء الإستشراق على تصنيف هذه الكتابات تَصْنيفاً مفصلاً ، لوجد أن الصورة العامة ، معنى ومبنى ، تفيد في حقيقة الأمر أنها صنفان : نقوش عربية شمالية ونقوش عربية جنوبية ، وتنقسم الشمالية ، إجمالاً إلى قسمين رئيسين : صفوية وثمودية .

وإذا كان هناك تميّز محدود للنقوش الديدانية واللحيانية فذلك بسبب وجود سكان مهاجرين من الجنوب يمثلون نفوذاً غير مباشرللكيانات السياسية الجنوبية التي كانت يوماً ما مسيطرة على طرق التجارة عَبْر الجزيرة التي حرصت على مدّ نفوذها إلى عدد من المحطات الهامة . ولهذا السبب كان خط النقوش اللحيانية مثلاً ، أقرب الخطوط إلى خط المسند التذكاري .

وإذا كانت ثمود قد ذكرت في النقوش الآشورية قبل الميلاد بقرون إلا أنه لا يعرف على وجه التحديد متى بدأت الكتابة بالخط الثمودي والذي هو بمثابة خط مُكَسَّر لخط المسند التذكاري . غير أنه استناداً إلى عدد قليل من النقوش الثمودية والصفوية والنبطية المؤرخة ، يمكن للمرء أن يستنتج أن أصحاب النقوش الثمودية كانوا قد عاصروا زمناً دولة الأنباط في القرن الأول الميلادي والفترة الرومانية في بلاد الشام أيام تراجان وهدريان أي في القرن الثاني بعد الميلاد (ثمود وصفاً ١٠٤) . ويفهم من

النقشين الصفويين (هاردنج - ونيت ٢٧٩٢ أ و ٢٧٩٢ج) ما قد يؤكد معاصرة أصحاب النقوش الصفوية للثموديين وربما تجاورهما في المكان أيضاً ، ونص النقش الأول هو : «لنتان بن أدم بن أقدم بن قعصاناً وحلَّ ثلاثة أشهر (بهذا المكان) سنة حاربت جُشَم ثمودَ ونص النقش الثاني يؤكد الحادثة نفسها .

وهناك نقش ثمودي مؤرخ في العام ٢٦٧ للميلاد ، أي في القرن الثالث ، وهو خلاصة لنقش نبطي عربي اللغة تقريباً منقوش بجانبه (J517) ، راجع الاطلال ١٠١/١٢ (١٩٨٩) .

وقد تمكن كل من ليتمان ووينت من دراسة عدد من النقوش الصفوية بدقة ورجّحا تواريخها في القرنين الأول والثاني الميلاديين (ثمود وصفا ١٠٤ ، مجلة : **RASOR** عدد ٢١١ (١٩٧٣) .

والرأي السائد بين الدارسين للنقوش الصفوية أن تاريخها يقع بين القرن الأول والقرن الرابع الميلاديين (**MACDONALD 12**) وهو رأي أقرب إلى الصواب . إذ أن هناك عدداً من النقوش ثنائية الخط التي كتبت بالخط الصفوي والخطوط الأخرى مثل النبطي والبلميري واليوناني (خريشة ١١١ في كتاب الاحتفاء لمولر) مما يعزز القول أن الجمهرة من النقوش الصفوية كتبت في فترات بعد الميلاد .

٦. عثر في النقوش الصفوية على الاسم عاد عشرات المرات علماً على شخص أو اسماً مركباً مثل عد أل > عاد إيل (معجم هاردنج) . وورد الاسم في أحد النقوش جَدَّاً ثانياً أو اسم قبيلة هكذا :

«لجهم بن زهران بن ثملت بن عاد ووجم على أبجر ذي آل ضيف» (مجموعة هاردنج - ونيت) . ورغم إغفال كتابة أصوات اللين في النقوش الا أن قراءات الاسم : عاد هي أرجح القراءات على أن مثل هذه الشواهد لا تقطع بالحجة وان كانت لا تقصر عن كونها قرينة دالة على انتشار الاسم بين أصحاب هذه النقوش .

٧. يذهب الاخباريون إلى وجود طبقتين لقوم عاد وهما : عاد الأولى وعاد الثانية . وربما فهموا ذلك من قوله تعالى : «وأنه أهلك عاداً الأولى» (النجم ٥٠) ، ولكنهم عندما يتحدثون عن إحداهما يقلّلون الحديث عن الثانية . حيث يذكر المسعودي مثلاً أن عاداً الأولى بادت قبل سائر ممالك العرب كلها .. وأن هناك عاداً

ثانية أخبر الله عن ملكهم ونطق بشدة بطشهم وما بنوه من الأبنية المشيدة التي تُدعى على مر الدهور العادية (مروج الذهب ج٢ ص٤٠) .

وذهب الطبري إلى أن عاداً الأولى هم نسل عُوص بن ارم .. وأن عاداً الأخيرة هو رهطَ قيْل بن عتر ولقيم بن هزّال .. وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم .. ولم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عاد الأخيرة ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد (الطبري ٢١٦-٢١٩) .

وذهب بعضهم أن عاداً الأخيرة هم بنو تميم وينزلون برمال عالج (اللسان) . وزعموا أن هودا اعتزل قومه بعد يأسه من قبول دعوته وأنه ذهب مع من آمن به إلى مكة .. (الأزرقي عن جواد علي ١/٣١٣) .

كما زعموا أن رجلاً غنياً من بقية (عاد) اسمه (حمار) كان متمسكاً بالتوحيد .. وأن المكان الذي كان فيه هو جوف وهو موضع في ديار عاد ، وقد نُسب إليه فقيل جوف حمار (عن معجم البكري / جواد على ١/٣١٠) ، والمقصود جوف الشمال .

ويفهم من نص القصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد أن عادا الأخرى لم تكن بأرض حمير ، وإنما هي ما ملكوا من الأمم وذلك في قوله عن ملوك حمير :

ملكوا المشارق والمغارب واحتووا
ما بين أنقرة ونَجْد الجَاحِ
مَلَكت ثمودَ وعاداً الأخرى معاً
منهم كرام لم تكن بشحاح

ثم قال في شرح القصيدة : <u>وحمير أمة قديمة كعاد</u> وثمود في القدم (شرح القصيدة ٢٠) .

وينكر الهمداني على من يقول بنسبة حمير إلى عاد (الاكليل ١/١٦١-١٧٧) . ويذكر أن الشواهد الشعرية المرتبطة بعاد لا علاقة لها بحمير وإنما المقصود بها نسبة العرب كل شيئ قديم إلى عاد ، كأن يقولوا إرَمي وعادي أي ملكه قديم ، كأنه من عهد إرم وعاد (م.ن ١٦٣-١٦٤) .

و «جماع العرب البائدة في عرف أكثر أهل الأخبار هم : عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجاسم وعبيل وعبد ضخم ، وجرهم الأولى والعمالقة وحضورا ، هؤلاء هم مادة العرب البائدة » (جواد علي ١/٢٩٥) . ويبدو أن معظمهم ان لم يكن كلهم ممن كانوا يسكنون في وسط الجزيرة وشمالها حسب أقوال الأخباريين بما فيهم جرهم الأولى ، مما يُومئ إلى

القول أن عاداً (الأولى أو الآخرة) لم تكن في جنوب جزيرة العرب ، وإنما قد تكون في شمالها ، وقَصْرُ نسبتها إلى الجنوب غير مؤكد ، حتى أن صاحب أنساب الأشراف يقول : «يُذكر أن عاداً كانوا قد ملأوا ما بين الشام واليمن ، من دلّني على رجل من آل عاد فله ما يشاء» .

ولقد أشير إلى عاد في مواضع كثيرة من الشعر الجاهلي مما يدل على أن عرب الجاهلية كانوا يعرفون طرفاً من أخبارهم ويضربون المثل بقدمهم (جواد علي ٣٠٨/١) . ويبدو أن عاداً كانت نسبياً من أقدم الأقوام التي بقي في أذهانهم شيئ من أخبارها ، وأن صدى تاريخها شكّل بعض تاريخهم القصصي ، مما يومئ إلى أن عاداً أو بعض عاد كانت قبائل شمالية . وقد سلف القول أن أبرز النسّابة لدى أهل اليمن الهمداني ينكر نسب عاد في حمير ، والعرب تعتبر تاريخ حمير هو تاريخ اليمن القديم وذلك لقربها في الزمن نسبياً من الأقوام التي سبقتها مثل سبأ ولما ظل عالقاً في أذهانهم من صدى أخبارها أكثر من غيرها . ولعل كثيراً من أخبار عاد وأنسَابها التي لم ينص عليها التنزيل فيها وضع ومبالغة وتحمل نَفَساً ملحمياً شارك فيه أهل الأخبار من اليمانية بنصيب وافر بعد الإسلام .

وبعد - هل كان أصحاب النقوش الصفوية هم قوم عاد أو بعض قوم عاد ؟ وهل يمكن أن يكون أخو عاد قد أنْذَر قومه بالأحقاف ، في شمال جزيرة العرب ، أي في تلك الهضبة الجيرية الشاسعة التي تمتد بين منطقة الصفّا شمالاً وجوف دومة الجندل جنوباً ؟ فأماكن النقوش الصفوية لا تخرج عن إطار أرض الأحقاف الشمالية هذه التي تشمل منطقة الحرة (الصفا) (حيث عثر على المجموعة الكبرى من تلك النقوش) . ومنطقة عرعر وبدنة في الامارة الشمالية للمملكة العربية السعودية وهي الأقصى جنوباً بين مواقع العثور على تلك النقوش ؟ سؤال حاولت الدراسة هذه الإجابة عنه بالإيجاب ، وقد قدمت دلائل وقرائن كثيرة ترجّح ذلك وتومئ بالحجة وإن كانت لا تقطع بها . وفي الوقت نفسه لا تنفي هذه الدراسة وجود عاد أو بعض عاد في الأحقاف الجنوبية من جزيرة العرب ، ولعلَّ تاريخها أقدم من تاريخ عاد الشمالية التي ترى هذه الدراسة أنه ينبغي تسمية النقوش الصفوية باسمها ونسبتها إليها ، أي النقوش العادية بدلاً من النقوش الصفوية .

تاريخ الجزيرة العربية القديم

« دعوة إلى التقويم والبناء »

بقلم :
أ.د عبدالرحمن الطيب الأنصاري

لعل التسمية الحقيقة التي يمكن أن نعتمد عليها في وحدة الجزيرة العربية حضارياً وسياسياً وجغرافياً هي ما ورد عن الرسول ﷺ حين قال : (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) وهو الحديث الذي إعتمد عليه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تتبعه للجيوب غير المسلمة في عصره وإخراجهم من بلاد العرب . والأثر الآخر والذي يقول ما معناه «إن جزيرة العرب ستعود مروجاً وأنهاراً» فالحديث الثاني يتحدث عن عصور جليدية ومطيرة عاشتها الجزيرة العربية وذلك قبل أن يتوصل الجيولوجيون والجغرافيون الى العصور المختلفة وإلى محاولة تزمينها بملايين السنين ، وفيه أيضاً أن جزيرة العرب ستدخل في مرحلة جديدة لابد واقعة في مستقبل العشرات أو المئات أو الآلاف أو الملايين من السنين وتلك قضية لا يسعنا إلا أن نقبلها لأنهاء جاءت عن النبي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

وجزيرة العرب وهي التي تبدأ من بادية الشام شمالاً إلى بحر العرب جنوباً ومن الخليج شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً مرّت بأحقاب وأزمنة كغيرها من أرض الله الواسعة ومع ذلك فإننا لانزال نقف حائرين أمام فتراتها التاريخية المتلاحقة والتي تبدو للوهلة الأولى أنها غير متتالية بل هي منقطعة . فبالنسبة لعصور ما قبل التاريخ أو ما يمكن أن نسميه بالعصور الحجرية وهي التي تلت العصور الجيولوجية نجد الاهتمام بها لم يبدأ إلاّ في النصف الأول من القرن العشرين . أما الاهتمام بالعصور التاريخية في بلاد العرب وخاصة في أقصى الجزء الشمالي وفي أقصى الجزء الجنوبي منها فقد كان

مرتبطاً بالدراسات الغربية فمنها ما هو مرتبط بالدراسات التوراتيه ومنها ما هو مرتبط بالدراسات اليونانية ومنها ما هو مرتبط بالدراسات الرومانية وسارت الكشوف الأثرية وهي معول البناء التاريخي لتزمين أي بقعة من الارض في ركب هذه التصورات الحضارية التي فرضها المكتشفون الغربيون بحكم تقدمهم العلمي في مضمار الآثار وبحكم طموحاتهم الاستعمارية وبحكم التأكيد على أن هذه المناطق ما هي إلا تبع لدائرة مركزها أثينا أو روما أو بيزنطة وبالتالي فإن حضارة الجزيرة العربية تدور في هذا الفلك ولا تنفك منه ، أو بمقياس التوراة الذي جعل الحركة التاريخية تدور مع أحداث بني اسرائيل بالطريقة التي يجدون فيها بغيتهم بربط أولاد إسماعيل بحركة تاريخ ونشاط أبناء إسحاق .

ولذلك فإن الحركة التاريخية لفترات ما قبل الإسلام في أبحاث علماء الآثار الغربيين ومن نحى نحوهم من الآثاريين العرب لم تستطع بناء تصور محلي لبناء تسلسل تاريخي .

أما عندما ننظر إلى الرصيد من التراث العربي والإسلامي فإننا نجده قد تلبسته إتجاهات عديدة لعبت دوراً أشعر أنه كان سبباً في عدم قدرة المؤرخ على وضع تسلسل تاريخي يشمل الجزيرة العربية بل نجد أحداثها تأتي مجزأة ومبتسرة لا رابط بينها وفي كثير من الأحوال نجد أن تصورات معينة أصبحت مسلَّمات لا يجوز زعزعتها أو المساس بها . ذلك لأن من أهم الإتجاهات التي لعبت بتاريخنا اذا ما راقبناه من خلال النص العربي الاسلامي نجده وقد تنازعته القبلية من جانب والشعوبية من جانب آخر .

فالقبلية قد برزت بكل شراستها وبكل قدراتها على التفتيت مع بداية النشاط البشري في العصر الإسلامي الأول وأعني به العصر الأموي والعصر العباسي الأول ، وفي مرحلة لاحقة برزت الشعوبية لتلقي بظلالها على تاريخ العرب ايضاً ولتسلبهم كثيراً من نشاطهم الفكري والاقتصادي والاجتماعي ولتجعلهم حفنة من البشر لا يقدرون على صنع حضارة تضاهي حضارة فارس ومجد فارس . وألَّف مؤلفون في هذا الإتجاه كما ألَّف العرب في الإتجاه الآخر وفي هذا الخضم الضخم من الميراث المعقد أصبح المؤرخ في حيرة من أمره .

وعندما يأتي المؤرخ العربي الحديث ليكتب تاريخ الجزيرة العربية ويحاول تطبيق منهج علمي دقيق يعتمد على الفحص والتدقيق والمقارنة والاستفسار والاجابة يصطدم بمسلّمات دخلت في اللاوعي العربي وكأنها ذلك الحدث الذي لا يمكن الخوض فيه . ومن هنا أصبح من يحاول الاقتراب من حدود هذه المسلَّمات إنما يخاطر بعلمه ويتعرض للنقد الجارح ، مما يجعل المسيرة التاريخية تقف واجفة مترقبة لا تستطيع محاولة اعادة النظر في تلك المسلّمات ، مع ان كثيراً من الحقائق تقف في صف المؤرخ المتبصر بالمنهج العلمي السليم . والمشكلة التي يغفل عنها كثير ممن التهموا أحداث التاريخ كما جاءت في كتب التراث وحسب إنتماءاتهم المتباينة فإنهم يفقدون كما قلت : القدرة على وضع أسئلة تحاول الاجابة عن الحدث زماناً ومكاناً وبالتالي يتكون من خلال تلك الإجابات الاطار الذي يمكن ان يجمع شتات الأحداث . ومن هنا ولعدم القدرة على وضع التصور الزمني للفترات التاريخية يقع كثير من هؤلاء في خلط للأحداث وعدم انسجامها وبالتالي ينقلون ما يجدون ويهرفون بما لا يعرفون .

سوف نحاول في هذا البحث ان نضع معالم اساسية لتصورنا لتاريخ الجزيرة العربية على أساس من التسلسل الزمني معتمداً في ذلك على المكتشفات الآثارية التي أجد من الأهمية بمكان أن ندخلها في نسيج البناء التاريخي كي ننظر بمنظار جديد مبتعدين قدر المستطاع عن التداخل الانتمائي الذي قد ينحرف بالمؤرخ عن جادة الصواب ومخففين عاطفتنا تجاه شمال او جنوب لكيلا نقع فيما وقع فيه من كان قبلنا ولكيلا يسير من يجئ بعدنا فيما سار عليه اسلافنا .

ولنبدأ بالحديث عن العصور الحجرية التي مرت بها الجزيرة العربية واذ انه أصبح من المعروف ان تاريخ الادوات الحجرية في العصر الحجري القديم يبدأ بظهور الادوات الحصوية التي تعتبر أقدم دليل على ظهور صناعة الأدوات الحجرية . وتقع شبه الجزيرة العربية في موقع استراتيجي جغرافي عند ملتقى قارتي آسيا وإفريقيا اللتين نشأت فيهما أقدم الحضارات وقد اكتشفت أقدم الأدوات الحجرية في كل من سوريا ولبنان وفي الأردن كذلك وفي فلسطين وقد غطّى هذا الجانب الزميل الدكتور / زيدان

كفافي ، ولايُنبئك مثل خبير ، كما انه غطّى ايضاً شمال الجزيرة العربية وشمالها الغربي في هذه الفترة وعلاقتها ببلاد الشام ووادي الرافدين ، كما غطّى الأستاذ الدكتور / معاوية ابراهيم ، الجانب الشرقي من الجزيرة العربية وهو ذو خبرة طويلة في هذه المنطقة اما بالنسبة لوسط الجزيرة العربية فقد عثر على أدوات تنتمي إلي العصر الحجري القديم المبكر في منطقة الدوادمي ويمثل فأس فريد من نوعه نموذجاً أشولياً ، وفي الربع الخالي جمعت مئات من الفؤوس تشبه المجموعات الأشولية الافريقية ومثل ذلك في موقع صفاقة في منطقة الدوادمي حيث عثر على أدوات تضم فؤوساً وسواطير وأدوات ثنائية الوجه مما توحي بفترة زمنية تنتصف العصر الأشولي وفي جنوب غرب الجزيرة العربية وجدت مجموعة من الحصويات الكوارتزية والأدوات الحجرية في منطقة نجران كما وجدت بعض الأدوات الحجرية كالمكاشط في تثليث بوادي الدواسر ويعتقد ان هذين الموقعين قد ينتميان الى فترة سابقة للعصر الأشولي وإلى ذلك يمكن أن ينتمي موقع في وادي فاطمة بالقرب من مكة المكرمة ، أما في جنوب الجزيرة العربية في وادي عمد في حضرموت فإن التشابه بين صناعة الصوان فيه شبيهة بصناعة الصوان في الباكستان وتعود هذه الصناعة في الباكستان الى حوالي مليون ونصف مليون سنة خلت .

ولا نجد تسلسلاً يعطينا تصوراً واضحاً لعصور ما قبل التاريخ في اليمن بل ان بعض مناطقه تكاد تخلو من العصور الحجرية كما هو الحال في وادي جوبة ولكن هذا لا يحرم المنطقة من فترات حجرية لم تكتشف بعد ما يمكن ان تكمل أو تدخل أو تشبه الفترات التي وجدت في المناطق الاخرى من الجزيرة العربية ويبدو ان الانسان قد انتجع شمال الجزيرة العربية في زمان موغل في القدم ولعل الهجرة المبكرة للانسان من افريقيا الى الجزيرة العربية حدثت عبر طريقين والطريق الأول يسير عبر النيل إلى شبه جزيرة سيناء ثم الى شمال الجزيرة العربية في مرحلة لاتبعد عن منتصف المليون الثاني قبل الآن .

والطريق الثاني ربما تم بأطواف خشبية عبر البحر الاحمر إلى جنوب غربي الجزيرة العربية وخاصة منطقة نجران .

وبعد هذه اللمحة السريعة عن العصور الحجرية نحاول ان نستعرض صورة أخرى لحضارة الجزيرة العربية وهي الرسوم الصخرية إذ يزخر شمال الجزيرة بكمية هائلة من الرسوم في شمالها وشمالها الغربي وغربيها ووسطها والأطراف الشمالية للجنوب .

ففي المنطقة الشمالية الغربية تنتشر الرسوم في كلوة وفي الحناكية وفي المنطقة الممتدة بين مدائن صالح وخيبر وفي أرض مدين وتعتبر رسوم كلوة من أقدم الرسوم الصخرية . ومما هو لافت للانتباه في مجموعة كلوة شكل لحيوان شبيه بالبقرة ذي قرون طويلة ورأس مستطيل ، طوله حوالي المترين وقد نحتت فوق رسوم سابقة لمجموعة من وعول صغيرة ذات قرون طويلة . ويتضح التشابه بين الرسوم الصخرية بكلوة والفن الافريقي في شكل انسان يجلس القرفصاء تحت ثور ويداه مرفوعتان فوق رأسه ، ولهذا الشكل ما يشبهه في الرسوم الصخرية بمنطقة فزان في شمال افريقيا وغير ذلك من الرسوم الى جانب رسوم أخرى لها علاقة تشابه مع الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى .

وقد تأرجح العلماء في تحديد الفترة التاريخية لهذه الرسوم الصخرية بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط ، اما رسوم الحناكية فإنها أُرخت ما بين الألف الرابعة والالف الثانية قبل الميلاد ويسبقها في القدم الفنون الصخرية التي تقع بالقرب من خيبر والتي تشبه رسوم كلوة .

اما في المنطقة الشمالية فيعد موقع جبة من أكثر المواقع الذائعة الصيت الى جانب مواقع أخرى ، وتعود أنماط الرسوم الصخرية لها إلى العصر الحجري الحديث وهكذا نجد الرسوم بعدئذ في عسير وفي بيشة وفي بئر حما والخماسين وأبها وهي رسوم لمجموعات سكانية يبدو أنها كانت تمارس حرفة الصيد خلال الفترة المبكرة للعصور المطيرة .

وعلى أي حال فإن الفترات التاريخية للرسوم الواقعة في المنطقة الجنوبية الغربية تتراوح فتراتها ما بين أواخر الألف الخامس ومنتصف الألف الثالث قبل الميلاد . وفي شمال اليمن تم العثور على ما يربو على الخمسين موقعاً زاخراً بالرسوم الصخرية حيوانية وبشرية تشبه الرسوم الصخرية الأخرى المنتشرة

في أرجاء الجزيرة العربية ويعتقد أنها تنتسب إلى العصر البرونزي .

ومما سبق يتضح ان مواقع الرسوم الصخرية في الشمال مثل منطقة كلوة وغيرها من المناطق التي يعود تاريخها الى العصر الحجري القديم هي الأكثر قدماً ، هذا بالإضافة إلى أدوات ما قبل الاشولي التي عثر عليها في بعض المواقع في الشمال . كل ذلك يشير الى ان الشمال كان أقدم المناطق التي قطنها الانسان في الجزيرة العربية .

والسؤال الذي يمكن ان يطرأ على الذهن ما هي علاقة هذه الرسوم بنشأة الكتابة في الجزيرة العربية ؟؟ اذ ان هناك فراغاً كبيراً بين نشأة الكتابة في مراكز الحضارات المجاورة في وادي الرافدين وبلاد الشام ووادي النيل وبين نشأتها في الجزيرة العربية ويلي هذا السؤال سؤال آخر عن المنطقة التي انتقلت منها الكتابة الى الجزيرة العربية والى جنوبها بشكل خاص ؟

إذ أن هناك نظريات كثيرة قيلت حول الكتابة التي إنحدرت منها كتابات الجزيرة ولكننا يمكن في هذه المرة ان نعرض للنظرية التي تقدم بها د/مجيد خان ، الذي يرى ان في المراحل المختلفة لتطور الرسوم الصخرية عبر العصور الحضارية المختلفة تغيرت الرسوم من التصاوير الكاملة والواقعية للأشكال الآدمية والحيوانية إلى الاشكال المصغرة البسيطة ثم بلغت قمة تطورها في العصر البرونزي اذ رسمت الابدان بهيئة خطوط تجريدية قصيرة صفت بترتيب معين يكشف عن محاولة للتعبير والاتصال ، ويعتقد د/مجيد ، ان هذه المراحل التطورية مهدت لظهور الكتابة وأن مجموعة من كتابات البادية أو كتابات القوافل ربما كانت تحتفظ وتصور مرحلة تعد المرحلة المفقودة .

هذه النظرية رغم أنها تبدو غير مقنعة إلا أنه يحسن بنا أن نعمل على فحصها مما قد يقودنا الى كشف نطمئن إليه وخاصة اذا ما ركّزنا على النقوش الباهتة التي تصحب الرسوم الادمية المجاورة واذا ما استعملت الوسائل الحديثة في كشف الغلالات المتراكمة Patina على الصخور ولعلنا نكتشف شيئاً آخر غير هذا وذلك اذا ما سرنا في هذا الطريق .

واذا ما اردنا ان ننتقل الى الفترات

التاريخية ، فاننا أمام مصادر كثيرة أهمها:-

١. الكتب السماوية .
٢. الآثار .
٣. الكتب الكلاسيكية .
٤. ما كتبته الأمم المجاورة .
٥. ما كتبه المؤرخون العرب والمسلمون .
٦. ما كتبه الرحالة الغربيون والعرب .

ولكل مصدر من هذه المصادر دور في تشكيل تصورنا التاريخي وفي مقدمتها القرآن الكريم الذي اشتمل على كثير من القصص عن الامم التي عاشت في الجزيرة العربية وقد اتت في القرآن للعظة والعبرة وجاءت في التوراة قصص شبيهة بقصص القرآن نقبل منها ما وافق ما جاء في القرآن ونرفض ما لم يوافق ما جاء فيه . وفي الوقت نفسه تحدثت التوراة عن ممالك عربية عاصرت أحداث التوراة وصدقت التنقيبات الاثرية وجودها كالعموريين والمؤابيين والأدوميين والعمونيين والقيداريين وهم امم عاشت بين الألف الثاني قبل الميلاد والنصف الاول من القرن الاول ق.م وتعد مرحلة من مراحل تاريخ الجزيرة كما تحدثت الكتابات المسمارية عن وجود حكم عربي في شمال الجزيرة العربية منذ القرن التاسع ق.م وتتمثل في معركة قرقر والملك جندب ثم مجموعة من الملكات العربيات في دومة وتيماء كما تحدثت التوراة عن قصة نبي الله سليمان وصلته بملكة سبأ وهي قصة جاءت في القرآن الكريم وكان الهدف منها في القرآن الكريم إظهار نبي الله سليمان على انه النبي المرسل وملكة سبأ وقومها الذين يعبدون الشمس من دون الله وكيف أنها آمنت بالله رباً وبسليمان نبياً . أما قصة التوراه فقد نحت نحواً آخر . والذي يهمنا في ايراد هذا الحدث هو أنه حدث في القرن العاشر ق.م وهذا يعني ان القرن العاشر والتاسع والثامن والسابع كان حركة نشطة في شمال وشمال غرب الجزيرة العربية إذا ما أضفنا إلى ما سبق ذكره المدينيين الذين كانوا على علاقة وثيقة بموسى عليه السلام في القرن الثاني عشر ق.م وكان نبيهم شعيب عليه السلام .

ثم انتقلت الأوضاع والنشاط السياسي والاقتصادي إلى اطراف الجزيرة العربية في الشرق على ضفاف الخليج وفي الغرب في مملكتي ديدان ولحيان وفي الجنوب في ممالك بسبأ ومعين

وحضرموت وقتبان وأوسان . ويبدو ان النشاط الحربي في وادي الرافدين وفي شمال الجزيرة العربية والتي كانت آخر صوره تتمثل في الملك نبونيد في النصف الثاني من القرن السادس ق.م كان سبباً في بعد القبائل العربية عن المواجهة والاحتماء برمال الربع الخالي وفي تضاعيف جبال السروات ، ولذا فان الهدوء المستمر للممالك العربية في مناطقها الجديدة منذ القرن الثامن والسابع ق.م حتى القرن الثالث الميلادي كان إنكفاءً من هذه الممالك على نشاط بشري تمثل في الزراعة والتجارة ولم يبدأ نشاطهم الحربي إلا عندما بدأت نزعة توحيد القبائل في نظام سياسي جديد خرج ملوك سبأ وذو ريدان بعدئذ ليمدوا نفوذهم إلى وسط الجزيرة وان لم تسجل الأحداث والنصوص ارتقاءهم عن مستوى صعودهم إلى ما هو أبعد من ماسل الجمح وتثليث حيث وجدت نصوص خارج حدود ممالكهم ولكن النصوص المحلية تتحدث عن وصول بعض الملوك الى القطيف ومنطقة الخليج .

ولم يكن وسط الجزيرة العربية بمعزل عن الأوضاع السياسية إذ تكون فيه كيان سياسي يتمثل في مرحلتين لدولة كنده :

المرحلة الأولى : من نهاية القرن الأول قبل الميلاد حتى بداية القرن الرابع الميلادي .

والمرحلة الثانية : هي دولة كنده من نهاية القرن الرابع حتى القرن السادس الميلادي .

ولعل الممالك العربية التي نشأت في الشمال بعد الميلاد ومعاصرة لحمير في الجنوب وكنده في الوسط هي مملكة الانباط ثم تدمر ثم المناذرة والغساسنة ويمثل هذا التتابع التاريخي استمراراً سياسياً تنتقل فيه القوى من مكان إلى آخر وتتحكم فيه الظروف الداخلية والخارجية بما يتناسب مع الأوضاع الاقتصادية ونشاط الطرق التجارية براً أو بحراً .

وإذا ما رجعنا إلى المصادر التاريخية الأخرى وجدناها تصب في التصور التاريخي الذي صورته أعلاه وبالتالي فإنني ومن هذا المنبر ادعو إلى ما يلي :

أولاً : ان يكون تصورنا التاريخي للاحداث مبنياً على تحديد لاطار زمني فنحن عندما نتحدث عن سبأ مثلا فلابد ان نحدد زمان

الاحداث وعن علاقة هذه الأحداث بعضها ببعض زمنياً .

ثانياً : انني ادعو الى وضع اطارٍ تاريخي نمارس فيه كتابة التاريخ هنا بما يساعد على فهم الأحداث وبحيث نربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب وأن لا نرفع من قيمة إقليم معين على حساب أقاليم أخرى وأن ندخل في حسابنا التاريخي ما يمكن ان يكون ضمن النسيج الكامل لحركة التاريخ في الجزيرة العربية. ولعلي اقترح الإطار السياسي التالي :

١) عصور ما قبل التاريخ .

٢) عصر القبائل البائدة : ونركز فيها على القبائل التي جاء ذكرها في القرآن الكريم فقط مثل ثمود وعاد وإذا ما أظهرت الاكتشافات الاثرية ما يدل على وجود للقبائل الأخرى التي جاءت في كتب الاخباريين فبالإمكان إدخالهم ضمن النسج التاريخي .

٣) عصر الممالك العربية :

أ) الممالك العربية القديمة : عمورية ، مؤاب ، أدوم ،مدين ،قيدار.

ب) الممالك العربية الوسطية : ديدان ولحيان ، سبأ ، معين ، قتبان ، حضرموت ، أوسان .

ج) الممالك العربية المتأخرة : حمير، مد كنده ، الأنباط ، تدمر ، المناذرة ، الغساسنة .

٤)عصر ماقبل الإسلام : النفوذ الفارسي والنفوذ البيزنطي ، أيام العرب ، بمكة ، يثرب .

على ان لا يغفل في نطاق هذا الاطار السياسي الجوانب الحضارية الأخرى .

وفي الختام : هل يجد هذا الاطار من يتجاوب معه ويقوم بمحاولة الكتابة على هذا النمط ؟ ارجو ذلك ؛ ولأن العمل سيكون جديداً وشاقاً لما يكتنفه من كثير من غير المألوف فإنني أتمنى ان تقوم هذه الكوكبة من المؤرخين الآثاريين الذي تحدثوا والذين شاركوا بأفكارهم على تكوين فريق عمل تدعمه هذه المؤسسة المتطلعة إلى كل جهد علمي بناء ومثمر في سبيل النهوض بتراث جزيرة العرب وتاريخها ليخرج في النهاية الأنموذج الذي نرتضيه لكتابة تاريخنا .

نحو تعليم أفضل

د. سعيد بن محمد المليص

حينما يرغب الإنسان التحدث عن التعليم والتربية يحتار الممارس لهذه العملية من أين يبدأ . فهل يتحدث عن تاريخ التعليم قديماً وحديثاً . أم عن تجارب الآخرين . وهل يتحدث عن غايات التعليم وأهدافه . أم عن الكم والكيف . إلى آخر هذه التساؤلات التي تعتبر في مجموعها قاعدة أساسية لرؤية تعليمية مستقبلية .

ولعل المدخل الأقرب للصواب هو تعريف هاتين المفردتين ، ولقد تعددت التعريفات وفقاً للمنظور التعليمي والتربوي لكل باحث أو لكل مؤسسة ، إلا أن الجميع لا يختلف على التعريف الأساسي للمفردة أو الهدف الأسمى لها .

التربية : لغة تعني النماء أو التنمية ، **والتعليم** : يعني نقل المعرفة واكتساب الفرد المعلومات والمعارف العامة . وهذا يعني أن العنصرين لا يتوقفان طوال حياة الفرد إلا بتوقف عناصرهما أو بتوقف العنصر المراد تربيته (تنميته) أو نقل المعرفة إليه بطريقة مقصودة أو غير مقصودة . ولا يختلف المربون أن التعريف الشامل للتربية والتعليم هو الاهتمام بالفرد ومساعدته للتكيف مع بيئته ومجتمعه في جميع مراحل عمره وعلى مر العصور .

والمتتبع لمسيرة التربية والتعليم منذ خلق الله آدم يلحظ ألواناً شتى من أنماط التعليم والتربية تتناسب مع كل بيئة ومجتمع تهدف في مجموعها لصهر الفرد ليكون أحد العاملين المنتجين في مجتمعه ، تتكون لديه القدرة على التفاعل في اكتساب المهارات ومن ثم الإضافة إليها أو تطويرها ثم نقلها إلى الجيل الذي يليه وهكذا .

وحينما يسمعُ الفردُ كلمةَ التربيةِ في هذه الأيام ينصرفُ الذهنُ على الفورِ إلى

المدرسةِ وما تحتويه من مُعطياتٍ كاملة . إلا أننا رجالَ التربيةِ أصبحنا ندركُ «وللأسف» أن التربية بهذا المفهوم لم تَعُدْ ملكَنَا . بمعنى ، ليست لدينا القدرةُ على تربيةِ الفردِ بالمفهومِ الذي كان سائداً . وهذا يعودُ إلى أن مَصَاددر التربية والتعليم تعددت وأصبح الفرد منا يشاهدُ أنماطاً سلوكيةً تُمارَسُ حتى في المدارس والمؤسسات التعليمية لا علاقةَ لها بهذه المعاهد ولا بمناهجها وبرامجها .

ومن مصادر التعليم تلك ، دورُ العبادةِ ، وسائل الاعلام مثل التلفزيون والاذاعة والصحف بشتى أنواعها والوسائل التقنية الحديثة مثل شبكة الأنترنت ، الجماعة ، الشلة ، الوظيفة ، كثرةُ الأسفار والاتصال بالآخرين .. وما خفي سيكونُ أعظَم .

ولم يعدْ للتربيةِ ذلك المعنى الجميلُ البراق ألاَ وهو غرسُ الفضيلةِ وتنميتُهَا وتعديلُ السلوك الفردي والجماعي نحوَ الأفضل . بل إن التربيةَ المقصودة توجه أحياناً بالصيغة الرسمية نحو الأسوأ (إذا ما أخذنا في الاعتبار اختلافَ العقائد أو ما يُعرفُ «بالايدلوجيات» و «الأفكار» وذلك في البلدان التي تختلف عنا قيماً وتقاليد وأعرافاً .

وهذا يمثل أحد الهموم التي يُحمِّل المجتمع المدرسة مسؤوليتها بكامل هيئتها وبزعمه أن على المدرسة أن تصلحَ ما أفسدته بقيةُ ينابيعِ المعرفة والتعليم الأخرى .

إن مفهوم التربية مفهوم مهم وخطير ألا وهو العنايةُ بالفرد من جميع جوانبه ولو أردنا استعراضَ ما ورد في القرآنِ الكريم والسنة النبوية وكذا تراث أسلافنا لوجدنا أن كلَّ ما يُقالُ اليومَ عن فلسفةِ التربية قد سُطِّر في دستورنا بصورة أو بأخرى . ونورد هنا كنموذج ثَلاَثةَ أهدافٍ عامة للتعليم من القرآن بالأمكان أن نستل ونقتبس من هديها الكريم عشرات الأهداف السلوكية .

الهدف الديني : ورد في قوله جلّ شأنه (وما خلقتُ الَجِنَّ والإنسَ إلا لِيعبدون) الذاريات ٥٦ .

والهدف الدنيوي : ورد في قوله جلّ شأنه (هو الذي جعل لكم الأرضَ ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك ١٥ .

والهدف الفكري أو الفلسفي : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار

لآيات لأولي الألباب - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربما ما خلقتَ هذا باطلاً سبحانك فقنا عذابَ النار) آل عمران ١٩٠/١٩١ .

والهدف الجامع : (وابتغ فيما آتاك الله الدارَ الآخرة ، ولا تَنْسَ نصيبَك من الدنيا) القصص ٧٧ .

هذا هو مفهوم التربية في المملكة العربية السعودية وعليه بنيت السياسة العامة للتعليم وهو العناية الشاملة بالفرد روحاً وعقلاً وجسماً ، ولم تمنعه من الاستفادة من كل معطيات العصر وتقدمه العلمي والتقني ما دام لا يتعارض مع المبادئ الأساسية والثوابت الراسخة للعقيدة . إلاَّ أن الهجمةَ التقنيةَ والتواصلَ الحضاري وتبادلَ الثقافات الإرادي وغيرَ الإرادي وانحسار المسافاتِ بين الشعوب على مختلف عقائدها وأساليب حياتها قد أثَّر تأثيراً كبيراً في قدرة المؤسسات التعليمية سواء في المملكةِ أو غيرها على الاحتفاظ بنمطيةٍ معينة خاصة من التعليم . وأصبح العبءُ الأكبر على هذه المؤسسات ليس التعليم والتربية فقط وإنما الحمايةُ من بعض أنماط التعلم .

ولذا نلاحظ بشكلٍ واضح أن المدرسةَ القديمةَ بموروُثها التقليدي لا تستطيعُ الوفاء بحاجاتِ المجتمع الحديث ، في حين أن المدرسةَ الحديثة بدأت تتهاون للأسباب التي ذُكرت آنفاً في غرسِ الفضائل الدينية والأخلاقية مما تسبب في ضياع الشخصية الاسلامية والعربية .

والمدرسة في المملكة - ولله الحمد - على الرغم مما يُوجَّه لها من نقدٍ إلا أن لديها الحصانةَ المتينةَ في المحافظة ولو على الحد الأدنى من الفضائل ، وذلك لازال يتمثل وسيبقى بإذن الله في الأهداف العامة للسياسة التعليمية والتي تأتي المناهج والكتب العامة المقررة ترجمة لها . وهكذا وعلى الرغم من ذلك الانفتاح الهائل لأبناء هذا البلد وخاصةً ممن بيدهم جزء من المسؤولية واطلاعهم على ثقافاتِ الشعوبِ الأُخرى إلا أن هذا قد أوجد عندهم الاعتزازَ بما يملكون من ذخيرةٍ فكرية عقدية وأنماطٍ جميلةٍ من العادات والتقاليد برز الاهتمامُ بها والدعوةُ إلى العودةِ إليها بشكلٍ كبير ولا سيما بعد مقارنتها بما عرفناه عن العوالم الأخرى .

إن مطلبَ رجالِ التربية في هذا البلد هو التزامُ جميع مصادر التعلم في

بلادنا بمنهج واحد في تثقيف الأمة . منهجٍ لا يخرج عن الخطوط العريضة للدستور الذي اعتمدته الدولة لمصدر التشريع ولئلا ينطبق قول الشاعر :

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

المتتبعُ لتاريخِ التعليم في المملكة سيدهش حين يكون متابعاً منصفاً يقوم بالمقارنة في الكم والكيف .

وهنا لابد من الاشارة إلى أن الانسان حيت يستعرضُ الاحصاءاتِ والنماذجَ التعليمية لا يود أن ينقلَ إلى القارئِ أن نظام التعليم وصل إلى درجة الكمال ومن جهة أخرى حينما يُوردُ بعضَ الملحوظات أو المقترحات لا يعني بذلك أن هناك قُصوراً في التعليم لا يعالجه إلا هذه الملحوظة ، فالأمر منطلقٌ من التنمية التي لا تعرف التوقفَ وهكذا فكل جيل يحذفُ ويضيف «حتى يرثَ الله الأرض وَمَنْ عليها» .

فلو أخذ الانسان نقطةَ البداية في المقارنة وهي منذ تولي خادم الحرمين الشريفين أولَ وزارة معارِف في بلادنا في عام ١٣٧٣هـ ١٩٥٣ الميلادية لوجد أن عدد المدارس في ذلك الحين لا يتجاوز (مائتين وعشراً من المدارس) للبنين والبنات من جميع المراحل وكلية واحدة للشريعة في مكة المكرمة . أما اليوم (١٤١٧هـ) فإن عدد المدارس يزيد عن (اثنين وعشرين ألف مدرسة) للبنين والبنات في جميع المراحل ومختلف قطاعات التعليم ويدرس بها أكثر من (أربعة ملايين) طالبٍ وطالبة إضافة إلى ذلك فإن عدد الكليات ارتفع من كلية واحدة إلى (ثلاث وثمانين) كلية في مختلف التخصصات يدرس بها حوالي (مائة وأربعة وسبعون ألفاً) .

ونورد فيما يلي نماذج على الجهود المبذولة في مسيرة التعليم :

١. على المستوى الكيفي بدأ التعليم بالمعلم أو المعلمة في تلك الفترة ممن يجيدون القراءةَ والكتابةَ وله إلمام بالحساب ثم ارتقى إلى مَنْ يحملُ الشهادةَ الابتدائية وهكذا حتى أُلْزمت المؤسسات التعليمية نفسَها بأن لا يدخل للتدريس في المدرسة الابتدائية ألا من يحمل شهادةَ البكالوريوس .

٢. على مستوى المقررات المدرسية أدخلت جميع المعلومات الحديثة اللازمة وفقاً للمتغيرات والتقدم العلمي وكان آخرها علوم الحاسب الآلي والتربية

الوطنية .

٣. ومن أجل زيادة التحصيل لدى الطالب ورفع درجة الاستيعاب لديه وللإفادة من وقته جُربت نماذجُ كثيرة من أنماطِ التعليم كنظامِ الساعات ، الفصلِ المفتوح ، اليومِ الكامل ، المدرسةِ الشاملة ، التغذية ، حصص النشاط ، حصص التقوية .

٤. الارشاد الطلابي ودوره الفلسفي في مساعدة الطالب في داخل المدرسة وخارجها أخذ نصيبه من الاهتمام والرعاية .

٥. النشاط المدرسي وأثره على الطلاب صار ضمن الاهتمامات المتزايدة في العملية التعليمية .

٦. التقويم المدرسي والاختبارات جُربتْ أنماط متعددة من أجل الدقة في التقويم والاستفادة من ذلك في إعادة النظر في البناء المنهجي للمعلومات والأداء المدرسي بكامله .

٧. برامج تدريبية للمعلمين والمعلمات طويلة وقصيرة المدى شاهدها الميدان بكثافة .

٨. التقويم السنوي للمقررات وتطويرها .

إلى آخر هذه السلسلة من النماذج الكيفية التي لاشك أنها معطيات أساسية للتعليم والتربية . إلا أن من يروم تعليماً أفضل يرى أننا لازلنا في حاجة ماسة إلى إعادة النظر من جديد فيما نريد تعليمه لأبنائنا وكيف ومتى ولماذا ؟

نحن نحتاج إلى وقفةٍ جادة يشترك فيها المربون وجميعُ رجالات أجهزة الدولة الأخرى والقطاعان العام والخاص المستفيد من مخرجات التعليم ، إذا كنا نعتقد بأهمية ربط مخرجات التعليم بمتطلبات التنمية .

وهنا أود التأكيد على أن الأمر مهم ويجب أن لا ينفرد المربون بالتخطيط لهذا الأمر بل عليهم أن يفتحوا الحوار الجاد مع كل الفئات بدءاً بعلمائنا الأجلاء وفقهائنا الأفاضل .

إن كمَّ المعلومات المرادُ نقله إلى أبنائنا كم هائل جداً والوقت المتاح لهم ليس واسعاً . كثير من المعلومات لم تعد مناسبةً للطفل إذ إنه قد يتعلمها قبل وصوله للمدرسة ولا حاجة للتكرار وكثير منها يحتاج إلى إعادةِ توزيع لتناسب قدراته العقلية ودرجة التكليف الشرعي وهذا يحتاجُ إلى متخصصين من ذوي الكفاءة والأهلية ، ويتم ذلك في إطار من التقويم الشامل الذي وافق عليه المقام السامي لتقويم جميع مناشط التعليم .

وتأكيداً لهذا المبدأ الذي يطالب به الجميع بدءاً من القائد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله الذي قال في إحدى جلسات مجلس الوزراء «إن إعادة النظر في مناهج التعليم لا تعني أن هناك قصوراً في المناهج الحالية .. لكننا يجب أن نقوّمَ المناهج بعد الفترة الطويلة التي طُبقت فيها .. وأن ننظر إلى سلبيات وإيجابيات ذلك التطبيق» .

وفي هذا المجال فإن مما نراه في سبيل تطوير الأداء التعليمي والتربوي للوصول إلى غاية أسمى من العمل ضرورة أن نأخذ في الاعتبار الأمور الآتية :

١. توحيد السياسات العامة بين جميعِ مصادر التعلم على مختلف مساراتها فيما يخص الثقافة والتعليم بحيث ينحسر التناقض بين البرامج التي نقدمها إلى الشباب بصفة خاصة وإلى الأمة بشكل عام – وهذا يحتاج إلى قرار أعلى قد يَخْرجُ عن نطاقِ المؤسسات ذاتها.

٢. فيما يخص التعليم العام يجب إعادة النظر في الأهداف العامة للتعليم في كل مرحلةٍ لتتناسب مع العمر الزمني والعقلي للمتعلم – والاجابة عن الأسئلة ماذا نعلم ؟ ومتى ؟ وكيف ؟.

٣. من أجل الدقة في التقويم ومن أجل الحرص على الوقت يجب ترجمة الأهداف العامة للمواد إلى أهداف سلوكية محددة يسهل تعلمها وتعليمها وتقويمها .

٤. يجب التفريق بشكل كبير ومحدد بين المتغيرات والثوابت في المواد المقدمة للطلاب ، بمعنى أن هناك مواداً ثابتة في محتواها ملزمة للطلاب مثل مواد التربية الإسلامية واللغة العربية ، وهناك موادُ متغيرة ومتطورة وفقاً للمتغيرات العلمية والاجتماعية . فالأُولى يجب أن يكون التطوير فيها قاصراً على كيفية تقديمها ومتى ؟ أما الأخرى فتخضع للمتغيرات العالمية والتطور العلمي .

٥. إيجاد توافق علمي مقنن بين الساعات اليومية ومحتوى المنهج وبين القدرات العقلية الزمانية والمرحلية للطالب .

٦. زيادة التركيز على تدريب المعلمين وإطْلاعهم على أحدثِ أساليبِ التعلم وإشراكهم أو إطْلاعهم على أسباب الزيادة والنقص في البرامج والمناهج التعليمية . مع التركيز على إشعارهم بأن الكتاب المدرسي ماهو إلا ترجمة غير ملزمة لمفردات المنهج – أي أن المنهج هو الألزم .

٧. إعادة النظر في التشعيب في داخل المادة وجعلها كوحدة واحدة كما حدث في الرياضيات «جبر ، هندسة ، حساب» للاستفادة من التكامل العلمي داخل المادة إلى جانب الاستفادة من الوقت المتاح لكل مادة بشكل أفضل .

إننا نريد جهوداً كبيرة ومكثفة تربط الماضي بالحاضر من أجل مستقبل مشرق ولنا في سلفنا القدوة والمثال الأعلى في طرق التعليم والتعلم نورد هنا نبذاً منها وإن اختلفت محتوياتها فهدفها واحد .

يقول ابن سينا :

ليس كلُّ صناعةٍ يَرومُها الصبي ممكنةً له مؤاتية ، لكن ما شاكل طبيعته وناسبه ، وأنه لو كانت الآدابُ والصناعاتُ تجيب ، وتنقاد بالطلب والمرام دُونَ المشاكلة والملاءمة إذن ما كان أحد غَفلاً من الأدب ، وعارياً من صناعة ، وإذنْ لأجْمعَ الناسُ كلُّهم على اختيار أشرفِ وأرفع الصناعات .

ويقول - ابن خلدون :

من كان مرباه بالعسف والقهر ، سطا به القهر ، وضَيَّقَ على النفس في انبساطها ، ذَهَبَ بنشاطها ، ودعا إلى الكسل ، وحَمَلَ على الكذب والخبث والتظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه .

ويقول - القابسي :

فإذا اشتدت مفاصلُ الصبي ، واستوى لسانُه ، وتهيَّأَ للتلقين ، ووعي سمعه أخذَ في تعلُّم القرآنِ وصوِّر له حروف الهجاء ، ولُقِّنَ معالَم الدين .

وفي المدرس الخصوصي يرى ابن سينا أن يكون التعليم في المكتب ، لا فردياً على مؤدِّبٍ خاص لأن انفراد الصبي الواحد بالمؤدِّب أُجلَبُ لضجرهما ، ولأن الصبيَّ عن الصبي أَلْقن ، وهو عنه آخذ وبه آنس - ووجود الصبي مع غيره أدْعَى للتعلُّم والتخرُّج فإنه يباهي الصبيانَ مرةً ويأنفُ عن القصور عن شأوهم مرة - وكل ذلك من أسباب المباراةِ والمباهاةِ والمساجلةِ والمحاكاةِ ، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم .

بيـــــــان بأســـــــــماء الفائـــــــزين
بجائزة معالي الأمير / عبدالرحمن بن أحمد السديري
للتفـــــــوق العلـــــــمي
للعام الدراسي ١٤١٦/١٤١٧هـ

المركز	الإســـــم	التخـــصص	المعدل	التقـــدير

كليـــــة المعـــــلمين بالجـــوف

المركز	الإســـــم	التخـــصص	المعدل	التقـــدير
الأول	عبدالله خشمان عليق ضباعين	دراســـات قـــرآنيـــة	٣ر٩١	جيد جداً
الأول	علي شخير سالم الرشيدي	اســلامـيــات	٤ر٠١	جيد جداً
الأول	فوزي هلال وطبان الشمردل	لغـــة عـــربيـــة	٤ر٢٨	جيد جداً مع مرتبة الشرف (٢)
الأول	فايز عادل خشم القعقاع الرويلي	رياضــيــات	٤ر٤٨	جيد جداً مع مرتبة الشرف (٢)
الأول	فارس فياض حويل المرعضي الرويلي	عـــلـــوم	٤ر٢٨	جيد جداً مع مرتبة الشرف (٢)
الأول	جزام عايض الفريجي الرويلي	تربيـــة بدنيـــة	٣ر٧٦	جيد جداً مع مرتبة الشرف (٢)
الأول	ذياب مقبل هارب الشراري	اجـتـمـاعـيـات	٤ر٧٦	ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى
الأول	جميل عبدالعزيز العقل	تربيـــة فنيـــة	٤ر٧٧	ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى

المرحلة الثانوية - قسم العلوم الطبيعية

المركز	الإســـــم	التخـــصص	المعدل	التقـــدير
الأول	أديان يحيى إسماعيل	ثانوية قرطبة بالقريات	١٧١٩	ممتاز
الثاني	علي عودة الله محمد أبو لنوع	ثانوية القـــريات	١٧١٠	ممتاز
الثالث	محمد رضوان يوسف الكايد	ثانوية الجزيرة بسكاكا	١٧٠٣	ممتاز

الفـــرع الأدبـــي (إدارية واجتماعية)

المركز	الإســـــم	التخـــصص	المعدل	التقـــدير
الأول	إبراهيم قبلان أسعد	ثانوية قرطبة بالقريات	١٨٦٥	ممتاز «الأول على مركز الرياض»

الفـرع الأدبـــي(علوم شرعية ولغة عربية)

المركز	الإســـــم	التخـــصص	المعدل	التقـــدير
الأول	نافل عقاب مرشد الكويكبي	ثانوية القـــريات	١٦٤٦	ممتاز
الثاني	عبدالله فريح معيقل العبدي	ثانوية الجزيرية بسكاكا	١٦٣٧	ممتاز

المرحـــلة المتوســـطة

المركز	الإســـــم	التخـــصص	المعدل	التقـــدير
الأول	محمد عبدالوهاب محمد المغازي	م / القـــريات	١٨٢٥	ممتاز
الثاني	أيمن السيد أحمد عجاج	م / الحديثة بالقريات	١٨١٨	ممتاز
الثالث	إسلام محمد السيد الفلاحه	م / ابن القيم بسكاكا	١٨١٧	ممتاز

المرحـــلة الابتدائيـــة

المركز	الإســـــم	التخـــصص	المعدل	التقـــدير
الأول	مبارك محمد مبارك البحيران	مدرسة الشهداء بسكاكا	١٧٣٠	ممتاز
الثاني	عبد الإله محمد محمود النابلسي	الرحمانية الأهلية بسكاكا	١٧٢٨	ممتاز
الثالث	زامل سعدون عيسى الريِّس	عمرو بن العاص بدومة الجندل	١٧٢٧	ممتاز
الثالث مكرر	مساعد مبارك غازي الحسن	عبدالله بن عمر بدومة الجندل	١٧٢٧	ممتاز
الثالث مكرر	محمد مقيم طوقان الرويلي	أحمد بن حنبل بسكاكا	١٧٢٧	ممتاز

بيـــــان بأســـــماء الفائـــــزين

بجائزة معالي الأمير / عبدالرحمن بن أحمد السديري

للتفـــــوق العلـــــمي

للعام الدراسي ١٤١٧/١٤١٦هـ

المركز	الإســـم	التخصـص	المعدل	التقــدير
المعـــاهد العلمـــية المرحـــلة الثانـــوية				
الأول	سعيد عبدالله مشارع الشراري	المعـهـد العلمي بالقـريات	١٤٧٦	ممتاز
المرحلة المتوسطة				
الأول	مـحـمـد صـبـري حـسن خليل	المعـهـد العلمي بالقـريات	١٤١٨ر٥	ممتاز
مـــدارس تحفيـــظ القـــرآن الكـــريم				
المرحـــلة الثانـــوية				
الأول	أيمن دخـيل الله ســالم الربيع	ث / الشيخ فيصل بن مبارك بسكاكا	١٦١٠	ممتاز
المرحـــلة المتوســـطة				
الأول	شـلـويـح مـنـور راجـي الـعـنـزي	م / الشيخ فيصل بن مبارك بسكاكا	١٩١٣	ممتاز
المرحـــلة الابتدائيـــة				
الأول	أحـمـد مـحـمـد بجاد الرويشد	أ / الشـيـخ فـيـصل بسـكاكـا	١٧٢٣	ممتاز
المعـــاهد الصـــحية				
الأول	يحيى مـحـمـد حـمـدان الـعـازمي	« إحـــصـــاء »	١٥٩٧	جيد جداً
الأول	خليف قـويط حـتـحـوت الرويلي	« تمـــريـــض »	١٦٠٩	ممتاز
المعهد الثانوي التجاري				
الأول	عبدالله حجاج البيدان الشمري	الفـتـرة الصـبـاحـيـة	١٣٤٢	جيد جداً
الأول	عبدالرحمن سارح سلامه الشراري	الفـتـرة المسـائيـة	١١٩٥	جيد جداً

بيــــان بأســـــماء الفائـــــزين
بجائزة معالي الأمير / عبدالرحمن بن أحمد السديري
للتفـــــوق العلـــــمي
للعام الدراسي ١٤١٦/١٤١٧هـ

المركز	الإســـــم	التخصــص	المعدل	التقـــدير

مـركز التدريب المهني بالجوف

المركز	الإسم	التخصص	المعدل	التقدير
الأول	عبدالله عبدالمحسن عبدالله الضيعان	ميكانيكا سيارات بنزين	٩٠٪	ممتاز
الأول	عبدالرحمن نافع حماد الشراري	كهرباء تمديدات	٨٥٪	ممتاز
الأول	فرحان فايز دليم الرويلي	سمكرة ودهان	٨١٪	جيد جداً
الأول	ماجد حشاش فالح الشمري	لحام وحداده	١٨ر٨٠٪	جيد جداً
الأول	علي حمد فنخور الرويلي	ميكانيكا عامة	٣٩ر٨٣٪	جيد جداً
الأول	مبارك قعيط مسعر الشمري	الكترونيات سمعية وبصرية	٨١٪	جيد جداً
الأول	محمد سليم سليمان العطوي	كهرباء سيارات «ديزل»	٨٤٪	جيد جداً

مرحـــلة المتابعــة (محـــو الأميـــة)

المركز	الإسم	التخصص	المعدل	التقدير
الأول	سليمان سالم علي مزروع	مركز مدرسة الصديق بسكاكا	١٠٠٧	ممتاز
الثاني	فؤاد عمر مبخوت الصيعري	مركز مدرسة الصديق بسكاكا	٩٨٨	ممتاز
الثالث	عبدالسلام بشير البلوي	مركز اسامة بن زيد بالقريات	٩٥٧	ممتاز

المتميزون في مجال النشاطات الثقافية :

١. المدرس / حمود حويطي فروان الرويلي

* له عدة مساهمات في الأنشطة الإجتماعية والثقافية .
* فاز بالمركز الأول في مسابقة الأبحاث الإجتماعية على مستوى بيوت الشباب بالمملكة .
* حصل على المركز الأول في المسابقة الثقافية العربية على المستوى العربي لاتحاد جمعيات بيوت الشباب العربية .
* حصل على وسام الاتحاد العربي للهيئات الشبابية للمثقفين والمبدعين على المستوى العربي .

بيـــــان بأســـــــماء الفائـــــزات

بجائزة معالي الأمير / عبدالرحمن بن أحمد السديري

للتفـــــــوق العلــــــمي

للعام الدراسي ١٤١٦/١٤١٧هـ

المركـــز	الإســـــم	التخـصص	المعدل	التقـدير
كليـات المعلمـات - مرحـلة البكالوريــوس				
قســـم الاقتصـــاد المنـــزلي				
الأولى	عـبـيـر عـبـدالكريم ربيع سـويلم		٩٢ر٤٩٪	ممتاز
قســـم الأحيــــاء				
الأولى	ناديه صالح سالم الدليمان الحسن		٩٥ر٢٩٪	ممتاز مع مرتبة الشرف
قســـم الرياضيـــات				
الأولى	مها محمد فراس سالم السرحاني		٩٧ر٢٣٪	ممتاز مع مرتبة الشرف
قســـم اللغـــة الانجلـيزية				
الأولى	لطيفة شبيب غويطان ضبان القعيقعي		٩١ر٥٦٪	ممتاز مع مرتبة الشرف
قســـم الدراســـات الاســـلامية				
الأولى	مـاجده عبدالله عبدالرحمن خليف		٩٦ر٤٩٪	ممتاز
قســـم اللغـــة العربيـــة				
الأولى	خلود عبدالله ابراهيم عبدالله النازل		٩٨ر٨٤٪	ممتاز

بيـــــــان بأســـــــــماء الفائـــــــزات

بجائزة معالي الأمير / عبدالرحمن بن أحمد السديري

للتفـــــــــوق العلـــــــمي

للعام الدراسي ١٤١٦/١٤١٧هـ

المركـــز	الإســـــــم	التخــصص	المعدل	التقـدير
المرحــــــلة الثانــــوية				
القســـــم العلـــــمي				
الأولى	سلوى كـــايد البـــيطار	الثـانوية الأولى بالقـريات	١٢٢٧	ممتاز
الثانية	منال عبدالمصلح محمد الهذيل	الثـانوية الأولى بسكاكـا	١٢٢٢	ممتاز
الثالثة	لينا عايد عبدالغني أبو الضبعات	الثـانوية الأولى بسكاكـا	١٢٢١	ممتاز
القســـــم الأدبـــي				
الأولى	حنان ونيس عـمـــير الربيع	الثـانوية الثانيـة بسكاكـا	١٣٠١	ممتاز
الثانية	الجـازي علي مـقـيل البلعـاسي	الثـانوية الثانيـة بالقـريات	١٢٨٨	ممتاز
الثالثة	أميرة علي محيسن الفتيخة	ثانوية دومـــــة الجندل	١٢٧٩	ممتاز
المرحـــــــلة المتوســـــطة				
الأولى	سحر عمر عبدالله أبو حجاب	المتوسطة الثالثة بالقريات	١٨٢٨	ممتاز
الثانية	ايمان أحمد عبدالوهاب الزيات	مـتـوسطة الطوير بسكاكـا	١٨٢٧	ممتاز
الثالثة	مـنـال ابـراهـيـم أبـو شـنـار	المتـوسطة الأولى بسكاكـا	١٨٢٦	ممتاز
المرحـــــــلة الإبتدائيــــــــة				
الأولى	إسراء أحمد محمد جاهين	الأولى بطبـــــرجل	١٨٢٩	ممتاز
الأولى مكرر	نورة عبدالله محمد المفشي	الرابعـــة بالقـــريات	١٨٢٩	ممتاز
الثانية	أسمـاء سلامه زكي محمد	الأولى بطبـــــرجل	١٨٢٨	ممتاز
الثانية مكرر	ريم نقد عبدالرحمن نقد	الرابعة عشرة بالقريات	١٨٢٨	ممتاز
الثانية مكرر	زينب رافع عـــسكر العنزي	السادسة عشرة بالقريات	١٨٢٨	ممتاز
الثالثة	مروة قاسم محمد الغالول	الأولى بـالـقــــريات	١٨٢٧	ممتاز
الثالثة مكرر	روان خـالد صـالح المويشـير	الأولى بـسكـاكـــــا	١٨٢٧	ممتاز
الثالثة مكرر	شيماء السيد عبدالعزيز السيد	الخـامـــــسة بسكاكـا	١٨٢٧	ممتاز
الثالثة مكرر	مـلاك زايد سليمان العمري	الخـامـــــسة بسكاكـا	١٨٢٧	ممتاز

بيـــــان بأســــــماء الفائــــــزات

بجائزة معالي الأمير / عبدالرحمن بن أحمد السديري

للتفـــــوق العلــــــمي

للعام الدراسي ١٤١٦/١٤١٧هـ

المركــز	الإســـــم	التخـصص	المعدل	التقـدير
تحفيـظ القــرآن الكــريم (الإبتدائية)				
الأولى	سمر عصام معروف رجب	ابتدائية التحفيظ بسكاكا	١٥٢٣	ممتاز
تحفيـظ القــرآن الكــريم (المتوسطة)				
الأولى	أثيل أحمد زهدي شقور	متوسطة التحفيظ بسكاكا	١٧٩٥	ممتازة
معهــد المعلمـــات				
الأولى	شرعاء هادي مذكر آل قنفذ	معهد معلمات العيساوية-القريات	٢٢٣٢	ممتاز
معـــاهد التعـليم المهــني				
الأولى	فهده علي مصبح الفهيقي	التدريب المهني بسكاكا	٩٥٠	ممتاز
المعهــد الصــحي بســكاكا				
الأولى	نجاح محمد دغيم الدغماني	المعهد الصحي بسكاكا	٧٦٣	ممتاز
مرحــلة المتابعــة (محــو الأميــة)				
الأولى	انتصار حامد مرجي الرويلي	الثامنة بسكاكا	٩٣٠	ممتاز
الأولى مكرر	ضحيه حسين سلمان الشمري	الثامنة بسكاكا	٩٣٠	ممتاز
الأولى مكرر	قبيلة حسين سلمان الشمري	الثامنة بسكاكا	٩٣٠	ممتاز
الأولى مكرر	سلوى زارع مصبح الفهيقي	الثامنة بسكاكا	٩٣٠	ممتاز
الثانية	نشمية صبيح عطنان الرويلي	الثامنة بسكاكا	٩٢٦	ممتاز
الثانية مكرر	خيرية عبدالرزاق سعود السليمان	الثامنة بسكاكا	٩٢٦	ممتاز
الثانية مكرر	فريحة عايد مسعد الشمري	السابعة بسكاكا	٩٢٦	ممتاز
الثالثة مكرر	عافية عبدالله صالح الصيعري	السابعة بسكاكا	٩٢٢	ممتاز

أسماء الفائزين بمسابقة المزارعين
الثانية والعشرين

فئة البستنه :-

	المعدل
الأول / نواف عبدالرحمن المعزي	٣ر٩٦ درجة
الثاني / عبدالرحمن نيط العسكر	٧ر٩٥ درجة
الثالث / فيصل غزاي الرويلي	٥ر٩٤ درجة

فئة أكبر قنو بلح :-

	الوزن	الصنف
الأول / مبارك صباح المبارك	٥ر٦٣	مرعيه
الثاني / أحمد محمد الطويل	٦٠	حلوه
الثالث / محمد رخيص العرجان	٥ر٥٩	حلوه

فئة أكبر وزن خروف :-

		نوعه
الأول / شندل مهنا الحازمي	٧٠٠ر١٣٨	نعيمي
الثاني / عيسى محسن العواد	٤٠٠ر١٣٥	نعيمي
الثالث / فايز خلف الضويحي	٣٠٠ر١٣٥	نعيمي

فئة أفضل ناقه حلوب :-

الأول / عرهان فيحان السهلي	٤٠٠ر٢٣
الثاني / طعد طراد الشمري	١٠٠ر٢١
الثالث / ضبيب فيحان السهلي	٥٥٠ر٢٠

أسماء الفائزات بجائزة صاحب المعالي الأمير عبدالرحمن السديري للتفوق بصناعة السجاد للعام (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)

إسم القطعة	صاحبة القطعة الفائزة
١. القاطع (الساحة)	حرم عمير فالح الشمري
٢. السجاده	والدة سعد عاشق اللحاوي
٣. البساط	نورة عماش الجريد
٤. الخرج	دبيه عبدالله الشمري
٥. الوسادة	أم بدر الهمط

من عيون الشعر

* ذو الإصبع العدواني

لِيَ ابْنُ عَمٍ عَلَى مـا كـان مِن خُلُقٍ ... مُـخْـتَلفَـانِ فـأَقْليـه ويَقْليني
أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَـالَتْ نَعَـامَـتُنَا ... فَـخَـالَنِي دُونَهُ وخِلْتُـهُ دونـي
ياعَـمْرُو إِنْ لا تَدَعْ شَـتْمِي ومَنْقِصَـتِي ... أَضْـرِبْكَ حَـيْثُ تَقُـولُ الهـامَـةُ اسـقُوني
لاَهِ ابنُ عَـمِّك لا أَفْـضَلْتَ في حـسَبٍ ... عَنّي ، ولا أَنْتَ ديَّانـي فَـتَـخْـزُوني
ولا تقُـوتُ عِـيَـالِي يَومَ مَـسْـغَـبَـةٍ ... ولا بِنَفْـسِكَ في العَـزَّاءِ تَكْفِـيِنْي
إِنّي لَعَـمْـرُكَ مـا بَابِي بِذِي غَلَقٍ ... عَن الصَّـديقِ ولا خَـيْـري بِمَمْنُونِ
ولا لِسَـانـي على الأَدْنَى بِمُنْطَلِقٍ ... بالفَـاحِـشَـاتِ وَلا فَـتِكي بمأمُـونِ
عَفٌّ يَؤُوسٌ إِذَا مـا خِـفْتُ مِن بَلَدٍ ... هُوناً فَلَسْتُ بِوَقَّـافٍ على الهُـونِ
عَنِّي إِليكَ فـمـا أُمِّي بِرَاعِـيَـةٍ ... تَرْعَى المخَـاضَ ، ومَـا رَأيِي بمَغْـبُـونِ
كلُّ امْـرِئٍ رَاجِعٌ يَومـاً لِشِـيـمَـتِـهِ ... وإِنْ تَخَـالَقَ أَخْـلاقَـاً إِلى حِينِ
إِنّي أَبِيٌ أَبِيُّ ذُو مُـحَـافَـظَةٍ ... وابـنُ أَبِـيّ أَبِـيٍّ مِـنْ أَبِيِّـيـنِ
وأَنتُمُ مَـعْـشَـرٌ زَيْدٌ عَلَى مِـائَةٍ ... فَـأَجْـمِـعُـوا أَمْـرَكُم كُـلاً فَكِيدُونِي
فَـإِنْ عَـرَفْتُم سَبِيلَ الرُّشْدِ فَانْطَلِقُوا ... وإِنْ جَـهِلْتُمْ سَـبِيلَ الرُّشْـد فَـأتُوني
مـاذا عَلَيَّ وإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي كَـرَمٍ ... أَنْ لا أُحِـبَّكُمُ إِذْ لم تُحِـبُّـونِي
لَو تَشْـرَبُونَ دَمِي لم يَرْوَ شَـارِبُكُمْ ... ولا دِمـاؤُكُمْ جَـمْـعَـاً تُرَوِّيِنِي
اللـهُ يَعْـلَـمُـنِي واللـهُ يَعْـلَـمُـكُمْ ... واللهُ يَجْـزِيكُمُ عَنِي ويَجْـزِيني
قَـدْ كُنْتُ أُوتِيكُمْ نُصْـحِي وأَمْنَحُكُمْ ... وُدِّي على مُـثْـبَـتٍ في الصَّـدْرِ مَكْنُونِ
لايُخْـرِجُ الكَرْهُ مِنِّي غَـيْـرَ مَـأْبِيَـةٍ ... ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يَبْـتَـغِي لِينِي

من إختيار : الشيخ عثمان ناصر الصالح

من الكتب الواردة حديثاً لدار الجوف للعلوم

إعداد : قسم التزويد بالدار

استمراراً لخطة الجوبة في الاهتمام بتعريف القارئ الكريم ببعض الكتب التي وردت حديثا الى دار الجوف للعلوم ، يسرنا أن نستعرض بايجاز الكتب التالية :

*** الوراقة وأشهر أعلام الوراقين : دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات / علي بن ابراهيم النملة - الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥هـ ، ١٨٨ص .**

هذا الكتاب له أهمية كبرى في تغطيته لمجال ندر التأليف والبحث فيه لصعوبته وكما يذكر الدكتور النملة في مقدمته أنه توجد استحالة في حصر جميع الوراقين في وقت مناسب إلا أن كتب التاريخ والتراجم قد أوردت أخبار الوراقين ممن اشتهروا بعلوم أخرى أو كانت لهم شهرة في مجال الوراقة نفسها .

وينقسم الكتاب إلى قسمين أساسيين :

القسم الأول : ويتناول الحديث عن مفهوم الوراقة وآدابها وموقف العلماء والمؤرخين منها ، والنظر اليها بوصفها أسلوباً من أساليب نشر المعلومات ونقلها .

القسم الثاني : ويتناول فيها ذكر الوراقين والتأريخ لحياتهم ، والمصادر التي اهتمت بهم وأرّخت لأعلامهم في الحضارات الاسلامية التي ازدهرت فيها الوراقة مع ازدهار المعارف والعلوم .

*** العمل مع أولياء أمور الأطفال المعوقين تأليف جوليس ايفانز ، ترجمة عبدالله محمد الوابلي ، طارش مسلم الشمري - الرياض : مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة : ١٤١٦هـ ، ١١٢ ص .**

لقد كان الدافع الحقيقي لترجمة هذا الكتاب كما يذكر المترجمان في مقدمتهما هو تلك الضرورة والأهمية للعمل مع أولياء أمور هؤلاء الأطفال المعاقين ، حيث أنه بدون فهم كيفية التعامل مع ولي

الأمر تظل هناك عقبة في طريق المعاق في شتى المجالات . كما أن العمل مع أولياء الأمور قد يساعد في تطوير وتحسين كافة الخدمات التربوية والنفسية والاجتماعية المقدمة لأطفالهم . ويشتمل الكتاب على أربعة فصول هي :

الفصل الأول : ويتحدث فيه المؤلف عن إدراك الكيفية التي يشعر بها أولياء الأمور والتفكير لديهم ومشاعرهم ومواقفهم الخاصة .

الفصل الثاني : ويذكر كل ما يتعلق بالمشاعر الخاصة مع أولياء الأمور تجاه المعلم ودوره الأساسي وتوقعاته تجاههم .

الفصل الثالث : ويفرده المؤلف لعملية مقابلة أولياء الأمور ، وكيفيك الاعداد لها وإجرائها ، وما هو المطلوب من المعلم في حالة طلب أولياء الأمور للنصيحة .

الفصل الرابع : ويتحدث عن مساعدة أولياء الأمور للملاحظة بغرفة الصف الدراسي ، وكيف تساعد وليّ الأمر لكي يدرس طفله ، وكذلك عملية المتابعة بوصفها من أهم العمليات اللازمة للنهوض بمستوى الطفل المعاق . ويشتمل الكتاب أيضا على توصيات نموذجية وكذلك نماذج لمقابلة المدرس وولي الأمر .

*** الاشارة وما يتعلق بها من أحكام في الفقه الاسلامي / عبدالله بن محمد أحمد الطريقي - الرياض : مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة ، ١٤١٣هـ ، ١٦٨ ص .**

وهذا الكتاب عبارة عن بحث موجز في الأحكام المتعلقة بالإشارة أراد المؤلف أن يوضح من خلاله المسائل الفقهية المتعلقة بها بعد جمعها وترتيبها وتبويبها من أمهات الكتب والمراجع الفقهية ، وسواء كانت هذه الاشارة من أخرس لا يستطيع النطق وهذا له أحكام تخصه للضرورة ، أو كانت من ناطق ليس له حال اضطرار كما يذكر المؤلف في مقدمته ، حيث يفيد بأنه للناظر للمرة الأولى الى هذا الموضوع قد يظهر أمامه أنه أمر قصير ليس فيه ما يحتاج إلى بحث أو كتاب ، إلاّ أنه بعد الإمعان والتقصّي يظهر للناظر إليه أن فيه الكثير من المسائل الدقيقة التي تهم الباحثين والمشتغلين في هذا الشأن خاصة ، وغيرهم عامة .

ويشتمل الكتاب على عدة فصول ومباحث منها على سبيل المثال لا الحصر: اشارة الأخرس في العبادات وفي أحكام

الأسرة والنكاح والطلاق واللعان والوصية وعقد البيع والايمان والشهادة والاقرار والقصاص والصلاة والعبادات والسلام والشهادة ورواية الحديث ... الخ .

*** ادارة الوقت / ناصر محمد العديلي - الرياض : مرامر للطباعة الالكترونية ١٤١٥هـ ، ١٢١ص .**

يذكر المؤلف في بداية كتابه أهمية الوقت ، وأن الدين الاسلامي أوحى لنا بأهمية قيمة الوقت وذلك من خلال مواعيد الصلاة والعبادات الأخرى وأهمية الالتزام بها . كذلك اهتم الغرب بالوقت كقيمة انسانية في الحياة ، وتم المقارنة بين الوقت والمال ، وظهر من بعض هذه المقارنات أن الوقت أهم من المال فالمال يمكن تعويضه أما الوقت فلا يمكن ذلك .

ويعتبر الكتاب خلاصة موجزة وشيقة لآراء ونظريات عديدة أراد المؤلف أن يبسطها للقارئ العادي ويبعده عن النظريات المعقدة التي يتناول بها المتخصصون هذه الموضوعات . وقد اشتمل الكتاب على عدة فصول تناول فيها المؤلف كل ما يتعلق بالوقت ومبادئ استغلاله وأهمية الأساليب العملية لادارته، وأهمية مفكرة الجيب وأوراق الخطط . كذلك تناول في فصل كامل دور السكرتير والاستفادة الفعالة منه . كما وضع في نهاية كتابه اقتراحات مفيدة لإدارة الوقت .

وفعلا فالوقت كما ذكر المؤلف هو المادة التي صنعت منها الحياة ، وهو لا يمكن شراؤه أو تجميعه أو تخزينه أو استئجاره ولا يمكن أبداً إطالته أو استبداله بغيره ، ولكن يمكن فقط إدارته .